السنة الثامنة من الهجرة

فيها: قَدِمَ عمرو بن العاص وخالدُ بن الوليد وعثمانُ بن طلحة العَبدري على رسولِ الله ﷺ في صَفَر إلى المدينةِ مسلمين[١].

قال عمرو: كنت للإسلام مجانِباً مباعداً معانِداً، حضرتُ بدراً مع الكفار فنجوتُ، وحضرت أحداً والخندق فنجوتُ، فقلت في نفسي: كم أُوْضِعُ! فوالله لَيَظْهَرَنَّ محمدٌ على قريش، فلحقت بمالي بالوَهْطِ[٢]، فلما حَضَرَتِ الحديبيةُ وانصرف رسولُ الله ﷺ إلى المدينة بالصلح، قلت: والله لَيَدْخُلَنَّ محمدٌ مكَّةَ من قابل، ولئن دخلها فليست لنا بمنزل، وكنت أقول: لو أسلمتْ قريشٌ ما أَسْلَمْتُ، فقدمتُ مكَّة فجمعت رجالاً من قريش كانوا يرون برَأْيي ويسمعون مني ويُقَدِّموني فيما نابَهم فقلت لهم: إني لأرى محمداً يعلو الأمور عُلُوًّا مُنْكراً، وإنِّي قد رأيت رَأْياً فما تَرَوْن فيه؟ قالوا: وما ذاك؟ قلت: نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمدٌ على قومِنا، كنا تحت يد النجاشي أحبَّ إلينا من أن نكون تحت يدِ محمدٍ، وإن ظهر قومُنا، لا يأتينا منهم إلا خير، فقالوا: هذا الرأي. فجمعنا أَدَماً كثيراً هَدِيَّةً وكان يحب الأَدَمَ، فقدمنا عليه فوالله إنّنا لعنْدَهُ إذ قدم عليه عمرو بن أمية الضَّمْري وكان رسولُ الله ﷺ قد بعثه في شأن جعفر وأصحابه وتزويجِ أُمِّ حبيبة، فدخل عليه ثم خرج من عنده، فقلت لأصحابي: لو سألت النجاشيَّ فأعطاني عمراً فضربت عنقه فترى قريش أنني قد قتلتُ رسولَ محمدٍ، فدخلت على النجاشي فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً بصديقي هل معك هدية؟ قلت: نعم، الأَدَمُ الكثير فقدَّمْتُه إليه، فأعجبه وفرَّق منه شيئاً في بطارقته وأمر بحفظ الباقي، فلما رأيت طيبَ نَفْسِه قلت له: أَيُّها الملكُ، رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجلٍ هو عَدُوُّنا قتل أشرافَنا ووتَرَنا، فادفعه إلي لأقتله. فغضب غضباً شديداً ورفع يده فضرب بها أنفي، فظننت أنه قد كُسِرَ، فلو انشقت الأرضُ لدَخَلْتُ فيها فرقاً

(١) «السيرة» ٢/ ٢٧٦ ، و«المغازي» ٢/ ٧٤١ ، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٢٩ ، و«المنتظم» ٣/ ٣١٤ ، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢٣٦ .

(٢) في النسخ: بالرهط، والوهط: قرية بالطائف كانت لعمرو بن العاص. معجم البلدان ٤/ ٩٤٣ .

منه، وسال الدم على ثيابي ووجهي من أنفي، وأصابني من الذل ما لا أقدر أن أصفه، وقال: ويحكَ أعطيك [رسولَ] رسولِ الله ﷺ منْ يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وعيسى فتقتله. فقلت: أيها الملك أكذلك هو؟ قال: إيْ والله، وَيْحَكَ يا عَمْرو أطِعني واتَّبعه، فإنَّه والله على الحق وسيظهر على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون. فقلت: أيها الملك لو ظننتُ أنك تكره ذلك ما سألتك، فاستحيا مني، فقلت: أَتُبايعني على الإسلام وقد غيَّر الله ما في نفسي، فبسط يده فبايعتُه، فدعا بطَسْتٍ فغسل الدم عني وكساني غير ثيابي، فخرجت إلى أصحابي وكتمتُ إسلامي وأتيت إلى موضع السفنِ فوجدت سفينةً قد شُحِنَت فركبتُ فيها حتى إذا انتهوا إلى الشُّعَيْبةِ[1] خَرجتُ منها ومعي نفقة، فابْتَعْتُ بعيراً وخرجتُ أريدُ المدينةَ، حتى إذا كنت بالهَدَّةِ إذا برجلين فتأملتهما فإذا خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة فقلت: أين تريدان؟ فقال خالد: نُريد محمداً فقد دخل الناس في الإسلام فلو أقمنا لأُخِذْنا برِقابنا كما تُؤخذ الضبع برقبتها في مغَارها، فقلت: والله وأنا أريد محمداً، فسرنا نحو المدينة وإذا بصائح يصيح: يا رباح، فتفاءلنا به، فلما رآنا قال: قد أعطت مكة المقادةَ بعد هذين، فظننتُ أنه يعني خالداً وإيّايَ، ثم ولى مدبراً إلى المسجد يُبَشِّرُ رسولَ الله ﷺ بقدومنا وقد أَذَّنَ العصرُ فأنَخْنا ولبسنا صالح ثيابنا ودخلنا المسجد، فلما رآنا رسولُ الله ﷺ تهلَّلَ وجهُه والمسلمون حوله قد سُرُّوا بقدومنا، فتقدم خالد وعُثمانُ فأسلما، ثم تقدمت إليه، فوالله ما هو إلا أن جلستُ بين يديه فلم أستطع أن أرفع طَرْفي إليه حياءً منه، فقلت: أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولم يحضرْني ما تأَخَّر، فقال: «إنَّ الإسلامَ يَجُبُّ ما قَبلَهُ، والهِجْرَةَ تَجُبُّ ما قَبْلَها»[2].

وفي رواية: فقلت: على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، قال: «نعم».

وأما خالدُ بن الوليد رضي الله عنه فقال: لما أراد الله بي من الخير ما أراد قذف في قلبي الإسلامَ وحَضَرَني رُشْدي، وقلت: كنت في هذه المواضعِ كُلِّها على محمد، وليس موطنٌ أحضره إلَّا وأَنْصَرِفُ وأنا أرى في نفسي أنني مُوْضِعٌ في غيرِ شيء، وأَنَّ محمداً

(١) هو مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز، وكان مرفأ مكة ومرسى سفنها.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٧٧٧)، وانظر «السيرة» ٢/ ٧٦ ـ ٢٧٨، و«المغازي» ٢/ ٧٤١ ـ ٧٤٥.

سيظهر، ودافَعَتْه قريشٌ يوم الحديبية بالرَّاحِ فقلت: أين المذهبُ؟ أَخْرج إلى هرقل فأدخل في النصرانية وأترك ديني وأقيم مع عجمٍ رومٍ أصير تبعاً لهم وذلك عيب علي؟ودخل رسول الله ﷺ مكة عامَ عمرة القضاء فتغيَّبْتُ فكتبَ إليّ أخي: لم أر أعجبَ من ذهابِ رأيك عن الإسلام وعَقْلُكَ عَقْلُكَ، ومِثْلُ الإسلام يجهله أحد؟! وقد سأل رسول الله ﷺ عنك فقلت: يأتي الله به فقال: «ما مثلُ خالدٍ مَن يَجْهَلُ الإسلامَ» فاستَدْرِكْ يا أخي ما فاتك.

فلما جاءني كتابه نشطتُ للخروج وسرَّتني مقالةُ رسول الله ﷺ فأجمعتُ الخروجَ إلى المدينة وطلبت مَنْ أُصاحبُ، فلقيت عثمان بن طلحة فأخبرته بما أريد،فأسرع الإجابة وخرجنا جميعاً فأدلجنا سَحَراً فلما كنا بالهَدَّةِ إذا بعمرو بن العاص فقال: مرحباً بالقوم، فقلنا: وبك، فقال: إلى أين؟ قلنا: نريد رسول الله، فقال: وأنا أيضاً أريد ذلك، فقدمنا المدينة في أول يومٍ من صفرٍ سنة ثمان فسلمت على رسول الله ﷺ بالنُّبوة، فرد بوجه طَلْقٍ فقلت: يا رسول الله، اغفر لي كلَّ ما صنعتُ، فقال: «الإسلامُ يَجُبُّ ما قَبْلَه». وتقدم عمرو وعُثمان فأسلما، قال خالد: فوالله ما كان رسول الله ﷺ يوم أسلمتُ يَعْدِلُ بي أحداً من أصحابه[1].

وروى الواقدي[2] عنه قال: أوقع الله الإسلام في قلبي فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية خرجت في خيل المشركين فلقيته بعسفان فقمت بإزائه فصلى بأصحابه الظهر، فَيَمَّمْتُ أن أُغيرَ عليه، ثم لم يصحَّ عزمي وكانت خيرةً، فأطلعه الله على ما في نفسي، فصلى بأصحابه صلاة الخوف، وقت العصر فوقع ذلك مني موقعاً، وقلت: الرجلُ ممنوعٌ منا ومن غيرنا، ثم افترقنا فلما صالحته قريشٌ يومَ الحديبيةِ قلت في نفسي: أين أذهب؟ أذهب إلى النجاشي وهو قد اتبع محمداً، وأصحابُه آمنون عنده؟ أفأخرج إلى هرقل فأتنصر وأقيم عنده؟ أو أقيمُ بمكة في داري؟ فبينا أنا في ذلك إذ قدم علينا رسولُ الله ﷺ في عُمْرَةِ القضاء فتغيَّبْتُ ولم أشهد دُخُولَه، وكان أخي الوليد بن الوليد معه فأرسل إلي أخي... وذكر بمعنى ما تقدم، فأجمعت الخروجَ إلى رسول الله ﷺ

(١) «الطبقات الكبرى» ٥/ ٢٦ ـ ٢٧ .

(٢) في المغازي ٢/ ٧٤٦ ـ ٧٤٩ .

فلقيت صفوان بن أمية، فقلت: يا أبا وهب ما ترى ما نحن فيه؟ إنما نحن أَكَلَةُ رَأْسٍ، وقد ظهر محمد على العرب والعجم، فلو قَدِمْنا عليه واتبعناه فإن شرفَه شرفُنا. فقال: لو لم يَبْق من قريشٍ غيري ما تبعتُه أبداً. فافترقنا وقلت: رجلٌ موتورٌ يطلب وِتْرَه، قُتِلَ أبوه وأخوه ببدر وعمُّه بأُحد، فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثلَ ما قلت لصَفْوانَ فردَّ علي كما ذكر صفوان، فقلت: فاطْوِ ما قلتُ لك، فلقيت عُثمانَ بنَ طَلْحَةَ فقلت له: إنما نحن بمنزلةِ ثَعْلَبٍ في جُحْرٍ لو صُبَّ عليه ماءٌ لخَرجَ، فقال: صدقت. واتَّعَدْنا بَطْنَ يَأْجَج فوافَينا، وأدْلَجْنا، فلقينا عمرو بن العاص بالهَدَّةِ فرافقنا إلى المدينة، فلقيني أخي فقال: أَسْرِعْ، فإن رسول الله ﷺ في انتظاركم، فدخلنا عليه فأسلمنا.

وقال خليفة بن خياط: كان إسلام خالد بين الحديبية وخيبر[١]. وإسلام عمرو بن العاص سنة ست[٢]. وهو وهم، والأصح أن إسلامهما كان في هذه السنة في صفر.

وفيها: كانت سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني المُلَوِّح بالكُدَيْد[٣]، في ربيع الأول، وكان في بِضْعةَ عَشَرَ رجلاً، فأخذوا الحارث بن مالك بن البَرْصاء فقال لهم: خرجت لأُسلم فقال له غالب: إن كنت خرجتَ لهذا فما يضرُّك رباطُ يوم وليلة، فربطه وسلَّمه إلى رُوَيْجلٍ وقال له: إن نازعك وثاقه فاحتزَّ رأسَه، فلما قدم المدينة أسلم واستاق غالبٌ أموالَهم ونَعَمَهم.

وفيها: كانت سرية غالب[٤] أيضاً إلى [مُصابِ] أصحابِ بشير بن سعد، فساق نعمهم وعاد إلى المدينة في ربيع الأول.

وفيها: كانت سرية كعب بن عمير الغِفاري[٥] إلى ذات أطلاح بناحية الشام بعد

---

(١) «تاريخ خليفة» ص٨٦ .

(٢) «تاريخ خليفة» ص٧٩ .

(٣) انظر «السيرة» ٢/ ٦٠٩ و«المغازي» ٢/ ٧٥٠ ، و«الطبقات» ٢/ ١١٦ ، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٢٧ ، و«المنتظم» ٣/ ٣١٤ ، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢٢٢ .

(٤) انظر «الطبقات» ٢/ ١١٧ ، و«المنتظم» ٣/ ٣١٥ ، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢٢١ . وما بين معقوفين زيادة من المصادر .

(٥) انظر «المغازي» ٢/ ٧٥٢ ، و«الطبقات» ٢/ ١١٩ ، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٢٩ ، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٤/ ٣٥٧ ، و«المنتظم» ٣/ ٣١٦ ، وجاء عند الطبري: عمرو بن كعب بدل كعب بن عمير، وانظر «الإصابة» ٣/ ١١ ـ ١٢ .

وادي القرى، وهو مكان كثير الطَّلْح، في خمسة عشر رجلاً، وكانت قضاعةُ بذاتِ أطْلاح في خلق كثير، فقاتلوهم فأصابوا أصحاب كعب وعاد كعب إلى المدينة جريحاً.

وقيل: كان أمير هذه السرية عمرو بن كعب الغِفاري.

وفيها: كانت سرية سعد بن زيد بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل[1]، في رمضان إلى مناةَ بالمُشَلَّلِ فهدمها.

وفيها: كانت غزاة مؤتة[2] في جمادى الأولى.

وسببها أن النبي ﷺ بعث رسولاً اسمه الحارث بن عُمَيْرٍ الأَزْدي، وقيل: ابن عمرو الأزدي إلى صاحب بُصرى بكتابٍ، فلما نزل أرْضَ مؤتة وهي أدنى أرض البلقاء إلى الحجازِ عَرَض له شُرَحْبيل بنُ عَمْرو الغساني فقتله، ولم يُقْتَلْ للنبي ﷺ رسولٌ سِواه، وبلغ رسولَ الله ﷺ فنَدَبَ المسلمين للمسير إلى الشام فخرجوا فعسكروا بالجُرْف في ثلاثة آلاف فارس، وأمّر عليهم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، قال: «فإن قتل زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة» وعقد لزيدٍ لواءً أبيضَ ودفعه إليه، وخرج رسولُ الله ﷺ يُشَيِّعُهم وقال لهم: ائتوا مقتل الحارث بن عُمَيْر فادعوا من هُناكَ إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلَّا قاتِلوهم واستعينوا بالله عليهم، ولم يزل معهم إلى ثَنِيَّةِ الوَداع. وودَّعَ الناسُ بعضُهم بعضاً فبكى عبد الله بن رواحة فقال الناس: ما يبكيك؟ فقال: أما والله ما أبكي على الدنيا ولا صَبابةً بها، ولكني سمعت النبي ﷺ يقول قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] فقد أخبرني أني وارد ولم يخبرني أني صادر، فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم وردَّكم إلينا سالمين، فقال: [من البسيط]

لكنني أسألُ الرحمنَ مغفِرةً ... وضربةً ذات فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدا

أو طعنةً بيَدَي حَرَّان مُجْهِزَةً ... بحربةٍ تُنفِذُ الأحشاءَ والكَبِدا

(١) انظر «الطبقات» ٢/ ١٣٦، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٦٦، و«المنتظم» ٣/ ٣٣٠.

(٢) انظر «السيرة» ٢/ ٣٧٣، و«المغازي» ٢/ ٧٥٥، و«الطبقات» ٢/ ١١٩، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٣٦، و«المنتظم» ٣/ ٣١٨، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢٤١.

ثم مَضَوْا حتى نزلوا أرض الشام فبلغهم أن هِرَقْلَ قد نزل أرض البلقاءِ في مئة ألف من الروم وانضمت إليه المُسْتَعْرِبةُ من لَخْمٍ وجُذام وبَلْقَيْن وغيرِهم في مئة ألف، فأقاموا ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا: نكتبُ إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعددِ عدونا، قال ابن رواحة: يا قوم والله إن الذي تكرهون لَلَّذي خرجتم له تطلبون الشهادةَ، إنا لا نقاتل الناس بِعُدَّةٍ ولا قُوَّةٍ ولا كَثْرةٍ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانْطَلِقُوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إمّا ظهورٌ وإمّا شهادةٌ، فقال الناس: صدق والله ابنُ رواحة، وساروا حتى نزلوا أرض مَعان، فبلغهم أن هِرَقْلَ قد نزل البلقاء في الروم والقبائل المستعربة، وكان على ميمنة العرب شُرَحْبيلُ بنُ عمرو الغساني وعلى الميسرة مالك بن زافلة والروم في القلب، وساروا حتى بلغوا مَشارف قرية عند مؤتة، وانحاز المسلمون إلى مؤتة وجعلوا على الميمنة قطبَةَ بن قَتادة العُذْرِي وعلى الميسرة عُبادة بن مالك الأنصاري وزيد وجعفر وابن رواحة في القلب.

وفي معان يقول عبد الله بن رواحة: [من الوافر]

أقمنا ليلتينِ على مَعانٍ ... وأعقب بعْدَ فَترتهم جُمُومُ
فَرُحْنا بالجيادِ مسوَّماتٍ ... تنفَّسُ في مناخِرِها السَّمومُ
إلى مأب نسيرُ مَسيرَ عَجْلٍ ... ولو كانت بها عَرَبٌ ورُومُ
فرام الله أعينهم فجاءت ... عوابس والغبار لها يَريمُ
بذي لَجَبٍ كأن البِيْضَ فيه ... إذا جُليت تُماثِلُها النجومُ

وكان زيد بن أرقم مقيماً في حجر ابن رواحة، قال زيد: فكنت معه في هذه الغزاة فبينا هو يسير إذ تَمثَّلَ: [من الوافر]

إذا أدنيتني وحملتِ رَحْلي ... مسيرةَ أربعٍ بعد الحِساءِ
فشأنُك فانعمي وخلاكِ ذَمٌّ ... ولا أَرجعْ إلى أهلي ورائي
وعادَ المسلمونَ وغادَرُوني ... بأرض الشَّام مُشتهي الثَّواءِ[1]
هنالِكَ لا أُبالي هَجْرَ خِلٍّ ... من الخِلّان مُنْقطعِ الإخاءِ

(١) في النسختين (خ) و (أ): مسهر البرا؟ والمثبت من السيرة ٢/ ٣٧٦، والطبري ٣/ ٣٨.

قال زيد: فبكيت وارتفع صوتي فقال: يا لكع أتأنف لي بالشهادة؟! وترجع إلى المدينة على ناقتي، وكان كما قال، ثم التقى الفريقان فتقدم زيد بن حارثة فقاتل في نحر العدو قتالاً شديداً لم يُرَ مثله، فمالوا عليه فاقتَسَمتْهُ الرماح فشاط عليها ـ أي هلك ـ فنادى الناس أين جعفرُ؟ فقال: ها أنا ذا وأخذ الراية وتقدم فقاتل قتالاً عظيماً، فلما أَلحَمَهُ القتالُ اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، وهو أول من عَقَر فرساً في الإسلام، ثم ارتجز: [من الرجز]

يـا حـبـذا الـجـنـةُ واقـتـرابُـهـا
طـيّـبـةً وبـاردا شـرابـهـا
والـرومُ رومٌ قـد دنـا عـذابـهـا
عَـلَـيَّ إن لاقـيـتـهـا ضِـرابُـهـا

ولما أخذ جعفرٌ الرايةَ جاءه الشيطان فمنّاهُ الحياةَ وكرَّه إليه الموتَ فقال: الآن حين استحكم الإيمان في قلبي؟ ثم قاتل حتى قتل، فنادى الناس عبدَ الله بنَ رواحة في جانب العسكر ومعه ضِلَعُ جمل يَنْهَشُه ولم يكن ذاق طعاماً قبل ذلك بثلاثة أيام فرمى بالضِّلَعِ ثم قال: وأنتِ مع الدنيا، ثم تقدم فقاتل فأصيبت أُصبعه فجعل يقول: [من الرجز]

هـل أنـت إلَّا أُصـبـعٌ دَمـيـتِ
وفـي سـبـيـل الله مـا لَـقِـيـتِ
يـا نـفـس إلَّا تُـقـتَـلـي تـمـوتـي
إن تـفـعـلـي فِـعْـلَـهـمـا هُـديـتِ
هـذا حـيـاضُ الـمـوتِ قـد صَـلـيـتِ
ومـا تَـمـنـيـتِ فـقـد لـقـيـتِ
وإن تـأخـرتِ فـقـد شَـقـيـتِ

ثم قال: يا نفس إلى أي شيء تتوقين؟ إلى فلانةٍ فهي طالق ثلاثاً، وإلى فلان وإلى فلان ـ غِلْمان له ـ هم أحرار، وإلى معجفٍ ـ حائطٍ ـ فهو لله ولرسوله ثم قال:

يا نفسُ مالك تكرهينَ الجنَّهْ
أُقسم بالله لتنزلِنَّهْ
طائِعةً أو لتُكْرَهِنَّهْ
فَطالما قد كنت مطمئنَّهْ
هل أنت إلا نطفةٌ في شَنَّهْ
قد أجْلبَ الناس وشدوا الرَّنَّهْ

ولما قُتِلَ عبد الله بن رواحة صاح ثابتُ بنُ أَقْرم: يا قوم اتفقوا على واحد منكم فقالوا: أنت، فقال: ما أنا بفاعل، فاصطلحوا على خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء.

وقال الهيثم: دفع عبد الله بن رواحة الراية إلى ثابت فدفعها ثابت إلى خالد وقال: أنت أعرفُ مني بالقتال، فقال خالد: لا بل أنت أحق، يعني أن ثابتاً كان قد شهد بدراً، فقال ثابت: خذها أيها الرجل فوالله ما أخذتُها إلا لك فأخذها وواقع القوم فانحازوا.

وأخرج البخاري عن خالد أنه قال: لقد انقطعت في يدي يوم مُؤتة تسعةُ أسياف فما بقي في يدي إلَّا صفيحةٌ يَمانِيَةٌ[1].

وقال الواقدي: انهزم المسلمون يوم مؤتة أقبح هزيمة، فلما أخذ خالد الراية انهزم الروم أقبح هزيمة.

وقال الإمام أحمد رحمة الله عليه: حدَّثنا عبد الرحمن بن مَهْدي، حدَّثنا الأسود بن شيبان [عن خالد بن سُمَير]، قال: قدم علينا عبد الله بن رَباح فاجتمعَ عليه الناس، فقال: حدَّثنا أبو قَتادة فارسُ رسول الله ﷺ قال: بعثَ رسولُ الله ﷺ جَيْشَ الأمراء وقال: «عَليكُم زيدُ بنُ حارِثَةَ، فإنْ أُصيبَ زيدٌ فجعفرٌ، فإنْ أُصيبَ جعفرٌ فعبدُ الله بن

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦٥).

رَواحةَ» فوثب جعفر فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما كنت لأرهب أن يستعمل علي زيد، فقال: «امْضُوا، فإنَّكَ لا تَدرِي أيُّ ذلكَ خيرٌ» فانطلق الجيش فلبثوا ما شاء الله، ثم إن رسول الله ﷺ صعد المنبر وأمر أن ينادى: الصلاةُ جامعة، فاجتمع الناس فقال رسول الله ﷺ: «أَلا أُخْبِرُكُم عن جَيشِكُم هذا الغازي؟ إنَّهُم انْطَلَقُوا حتى لَقُوا العَدُوَّ، فأُصيبَ زيدٌ شَهيداً فاستَغْفِرُوا له» فاستغفر له الناس، ثم قال: «فأخَذَ اللِّواءَ جعفرٌ، فشدَّ على القَوْمِ حتى قُتِلَ شَهيداً، فاستَغفِرُوا له، ثم أَخَذ اللِّواءَ عبدُ الله بنُ رَواحَةَ فأَثْبتَ قَدَميهِ حتى قُتلَ شَهيداً، فاستَغفِرُوا له، ثم أَخَذَ اللِّواءَ خالدُ بنُ الوليدِ ولم يَكُن مِنَ الأُمَراءِ هو أمَّر نَفسَهُ، ورفع رسول الله ﷺ أصبعه وقال: «اللَّهمَّ هُو سَيفٌ مِن سُيوفِكَ فانْصُرْهُ» فسُمي خالدٌ يومئذٍ سَيف اللهِ، ثم قال رسول الله ﷺ «انْفِرُوا فأمِدُّوا إخوانَكُم ولا يتخلَّفَنَّ أَحَدٌ منكُم» فَنَفَر النَّاسُ في حرٍّ شديد مشاة وركباناً[١].

وعن أبي هريرة قال: رُفِعَت الأرضُ لرسولِ الله ﷺ فرأى مصارع القوم فَنَعاهم واحداً واحداً، فلما أخذ خالدٌ اللواءَ قال رسول الله ﷺ: «الآنَ حَمِيَ الوَطيسُ»[٢].

وقال ابن إسحاق: قدم جيشُ مؤتةَ إلى المدينة لم يُفْقَد من أعيانهم إلّا الأمراءُ الثلاثةُ ونفرٌ يسير، وخرج الناسُ ورسولُ الله ﷺ معهم، فجعلوا يحثون في وجوههم الترابَ ويقولون: يا فُرَّارُ، ورسولُ الله ﷺ يقولُ: «لَيسُوا بفُرَّارٍ، ولكنَّهم الكُرَّارُ إنْ شاءَ الله تعالى» وكان قد حمل عبد الله بن جعفر بين يديه[٣].

ذكر من استشهد يوم مؤتة

جابر بن عمرو بن زيد، أبو كلاب[٤] النجَّاري، من الطبقة الثانية من الأنصار، وأمه شيبة بنت عاصم نجارية.

قال ابن عبد البَرِّ: شهد جابر بدراً وأحداً والخندق والعقبة، وجعله رسولُ الله ﷺ

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢٥٥١).

(٢) انظر «الطبقات» ٢/ ١٢٠، و«دلائل النبوة» ٤/ ٣٦٩.

(٣) «السيرة» ٢/ ٣٨٢.

(٤) هكذا جاء في النسخ، والصواب: وأبوكلاب بن عمرو. فهما أخوان، انظر طبقات ابن سعد ٤/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠.

يوم بدر على الساقة[١].

قال ابن سعد: كان له ثلاثة إخوة صحبوا رسول الله ﷺ منهم: الحارث استشهد يوم اليمامة وقيسٌ قُتِلَ يومَ مُؤتَةَ[٢].

جعفر بن أبي طالب، أبو عبد الله رضي الله عنه، كان أَسَنَّ من علي كرَّم الله وجهه بعشرِ سنين، أسلم قديماً قبل دخولِ رسول الله ﷺ دارَ الأرقم، وكان يسمى: ذا الهِجْرتَيْن، ويكنى أبا المساكين لأنه كان يتلطَّفُ بهم، وكان من المهاجرين الأولين، والمقدَّمَ بالحبشة على أصحابِ رسول الله ﷺ والمترجِمَ عنهم عند النجاشي، واختط له رسولُ الله ﷺ داراً بالمدينة إلى جانب مسجده، وآخى بينه وبين معاذ بن جبل، وأنكر الواقدي ذلك، لأن المؤاخاة كانت قبل بدر، ثم انقطعت بآيةِ الميراث وجعفر يومئذ بالحبشة[٣].

ذِكْرُ مَقْتَلِه:

قال ابن عمر رضي الله عنهما: أَمَّر رسولُ الله ﷺ في غزوة مؤتة زيدَ بنَ حارِثةَ، ثم جعفراً، ثم ابنَ رواحة وكنت معهم في تلك الغزاة، فالتمسنا جعفراً فوجدناه في القتلى ووجدنا فيما أقبلَ من جسده بضعاً وسبعين ما بين طعنةِ رمح وضربةِ سيف ورمية سهم، ليس في دبره منها شَيْءٌ. أخرجه البخاري[٤].

وقال الواقدي: ضربه رومي فقطعه نصفين، فوقعَ أحد نصفيه في كَرْمٍ، فوجدوا في نصفه ثلاثين جراحة[٥].

وقال البخاري: كان ابن عمر إذا سلم على عبد الله بن جعفر يقول: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين[٦]. لأن النبي ﷺ أخبر بذلك.

وقال ابن [سعد] رَفَعَهُ إلى أبي عامر قال: قال رسول الله ﷺ «رأيت أصحاب مؤتة

---

(١) في الاستيعاب (٢٠٩٩)، وطبقات ابن سعد ٣/ ٤٧٩ أن الذي شهد العقبة وبدراً وجعله رسول الله ﷺ على الساقة هو قيس.

(٢) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤٧٩، ولم يذكر أن موت قيس كان في مؤتة.

(٣) انظر «الطبقات» ٤/ ٣٢.

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٦١).

(٥) «الطبقات» ٤/ ٣٥.

(٦) أخرجه البخاري (٣٧٠٩).

في الجنة على سرر متقابلين، ورأيت جعفراً مَلَكاً ذا جناحين مضرَّجاً بالدماء مصبوغَ القَوادِمِ »[١].

وقال ابن عباس: قال النبي ﷺ: مرَّ بي البارحةَ جعفرٌ في نفر من الملائكة له جناحان مُخضَّبَ القوادم بالدم، يريدون أرض بيشة[٢].

قال الشعبي: بيشة من أطيبِ أراضي اليمن وأحسنِها، قريبةٌ من قبر هود عليه السلام، يجتمع إليها الشهداء والصائمون.

قال الجوهري: بيشة ـ بكسر الباء ـ اسم موضع، قال الشاعر[٣]:

سقى جَدَثاً أَعراضُ غَمْرةَ دُوْنَه وبيشةَ وَسْميُّ الربيع ووابِلُه

وقال عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: جاء رسولُ الله ﷺ إلى بيت جعفر فوجدهم يبكون عليه فقال: «لا تَبْكُوا على أَخِي، فإنَّه يَطِيرُ في الجنَّة» فحَلَق رُؤُوسَهُم، وقال: «أَمَّا مُحمدٌ: فَشبيهٌ بعَمِّنا أبي طَالِبٍ، وأمَّا عبدُ الله: فَشبيهٌ بخَلْقِي وخُلُقي» ثم صنع لهم طعاماً وجعلهم معه في أهله، وقال: «أنا وَلِيُّهُم في الدُّنيا والآخِرةِ»[٤].

وقال الواقدي: دعا رسول الله ﷺ بأولاد جعفر وهم ثلاثةٌ: عبدُ الله ومحمدٌ وعونٌ، وأمهم أسماء بنتُ عُمَيْس فشمَّهم ودمعت عيناه وقال لأمهم: «استَوصي بهم خيراً» ولم تكن علمت، فقالت: وما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: «أصيبَ جَعفرٌ وأَصحابُه في هذا اليَومِ» فأخذت تصيح فقال: «لا تَفعَلي فإنَّه يَطيرُ في الجنَّة بجَناحَينِ» ثم دخل على فاطمة رضي الله عنها وهي تبكي وتقول: واعمَّاه، فبكى وقال: «يا بنيةُ، على مثلِ جعفرٍ فلتَبكِ البَواكي»[٥].

---

(١) «الطبقات» ٢/ ١٢٠ ـ ١٢١ ضمن حديث طويل.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٤/ ٣٦ دون ذكر بيشة، من حديث عبد الله بن المختار.

(٣) هو الشمردل بن شريك اليربوعي، والبيت في «الصحاح» (بيش)، وفي «الوافي بالوفيات» ١٦/ ١٠٦.

(٤) الطبقات ٤/ ٣٤.

(٥) «المغازي» ٢/ ٧٦٦.

وأخرج الإمام أحمد رحمة الله عليه في «المسند» عن عبد الله بن جعفر ﷺ بمعناه، وذكر له في أوله: بعث رسول الله ﷺ جيشاً واستعمل عليهم زيد بن حارثة، ثم جعفراً، ثم ابن رواحة، وذكر فيه: ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليهم، وذكر أن رسول الله ﷺ صعِدَ المنبر وأخبر بمصارع القوم، ثم أمهل ثلاثاً، ثم أتى آل جعفر فقال: «لا تَبْكُوا على أَخِي بعدَ اليوم، ادْعُوا لي بَني أَخِي» فجيء بنا كأننا أَفراخٌ فدعا بالحلَّاقِ فحلَقَ رؤوسنا ثم قال: «أَمَّا محمدٌ فَشبيهٌ بعمِّنا أبي طالبٍ، وأمَّا عبدُ اللهِ فَشَبيهٌ بخَلْقي وخُلُقي» ثم أخذ بيدي فأشالها وقال: «اللهمَّ اخْلُفْ جَعفَراً في أَهلِه، وبارِك لِعَبدِ اللهِ في صَفَقةِ يمنيه ـ قالها ثلاثاً ـ» فجاءت أُمُّنا فذكَرَتْ يُتْمنا فقال: «العيلةَ تخافين [عليهم] وأَنا وليُّهمُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ»[(١)].

وفي «المسند» أيضاً عن عبد الله بن جعفر أن رسول الله ﷺ قال: «اصْنَعُوا لآلِ جَعفرٍ طَعَاماً، فَقد جاءَهُم ما يَشغَلُهُم، أو أَمرٌ يَشْغَلُهُم»[(٢)].

وقال هشام: حضرت أَسْماءُ عند رسول الله ﷺ فقال: «وعَليكُمُ السَّلامُ» فقالت له: يا رسول الله، على من تَرُدُّ السلامَ؟ فقال: «هذا جَعفرٌ في كَبْكَبةٍ مِنَ الملائِكَةِ يُسَلِّمونَ عليَّ، وقد عوَّضه الله بجَناحَينِ» وفي رواية: «أَخَذَ اللِّواء بيدِه اليُمنى فقُطِعَتْ، ثم باليسرى فقطعت، فَعُوِّض بالجناحين فلذلك سُمِّي الطَّيار بجَناحَيهِ حيث شاء»[(٣)].

وقال سعيد بن المسيب في مراسيله عن النبي ﷺ أنه قال: «مُثِّلوا لي في الجنةِ في خيمةٍ مِن دُرَّةٍ، كلُّ واحدٍ على سرير من ذَهَب، ورأيتُ في عنقِ زيدٍ وابنِ رَواحةَ صُدوداً، وأمَّا عُنُق جَعفَرٍ فَمُستَقيمٌ ليس فيه صُدودٌ، قال: فقيلَ لي: إنَّهما لما غَشِيَهما الموتُ كأَنَّهما صَدَّا بوَجهَيهِما، أما جَعْفَرُ فإنَّه لم يَفْعَلْ»[(٤)]. والصدود: الإعراض.

وحكى شيخنا موفق الدين رحمه الله عن ابن عمر ﷺ قال: وجدنا ما بين صَدْرِ

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٧٥٠).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٥١).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٩٣٦)، والحاكم ٣/ ٢٣٢ من حديث ابن عباس ﷺ.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٥٦٢).

جَعْفَر ومنكبيه وما أقبل منه تسعينَ جراحة ما بين ضربة وطعنة ورمية[١].

قال الشيخ موفق الدين أيضاً: ولما جاء رسولَ الله ﷺ نَعْيُ جعفر وأصحابِه بكى وقال: «أَخَوَايَ ومُؤْنِسَايَ ومُحَدِّثَايَ» يعني جعفراً وزيداً[٢].

وكان سِنُّه يوم قتل سبعاً وثلاثين سنة، لأنه كان أسن من علي عليه السلام بعشر سنين، وقيل: كان له خمس وعشرون سنة، وقيل: ثلاثون سنة، وقيل: إحدى وأربعون سنة، والأول أقرب للصواب.

ذكر أولاده:

وهم: محمد، وعبد الله، وعون.

فأما محمد فكان صغيراً على عهد رسول الله ﷺ، وكنيته أبو القاسم، تزوج أم كلثوم بنت عمه علي بعد موت عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

واختلفوا في وفاته:

فذكر الأموي في «مغازيه» أنه كان مع محمد بن أبي بكر حين بعثه علي رضي الله عنه والياً على مصر، فلما قتل محمد بن أبي بكر هرب محمد بن جعفر إلى فلسطين، فاستجار بأخواله من خثعم فأجاروه، فطلبه معاوية منهم وقال للذي هو عنده: ادفعه إلينا، فقال: والله لا أدفعه إليك أبداً، فقال: إنك لأَوْرَه، أي أحمق، فقال له الرجل: إني والله لأَوْرَه حين أقاتِلُ عن ابن عمك وأُقَدِّمُ ابن أختي حتى تَقْتُلَهُ، فأعرضَ عنه، فلم يزل عنده حتى مات[٣].

وقال الهيثم: استشهد بِتُسْتَر.

وذكر أبو الفرج الأنصاري: أنه قتل يوم صفين، برز له عبيد الله بن عمر بن الخطاب فاعتنقا ووقعا عن فرسيهما ميتين. وليس هذا القول بشيء.

---

(١) التبيين ١١٤ ، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٤٦٤).

(٢) التبيين ١١٥، وانظر «الاستيعاب» ١/٥٤٨ بهامش الإصابة.

(٣) التبيين ١١٩ـ١٢٠.

وكان لمحمد ولد اسمه: القاسم، تزوج أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر، وأُمهما زينبُ بنت علي عليها السلام، وأم زينب فاطمة عليها السلام، فولدت له طلحة وفاطمة، فتزوج فاطمة بنت القاسم حمزة بن عبد الله بن الزبير.

وأما عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما فسنذكره إن شاء الله تعالى في سنة ثمانين.

وأما عون بن جعفر فكان غلاماً على عهدِ رسول الله ﷺ.

وقال الهيثم: ادعى رجل اسمه المساور أنه ابن عون فأَقَرَّ به عبدُ الله بن جعفر وأعطاه عشرة آلاف درهم وزوجه ابنةً له كانت عمياء، فلما مات عبد الله نفاه أولاده، وليس لعون عَقِبٌ[1].

أسند جعفر رضي الله عنه الحديث عن رسول الله ﷺ وروى عنه ابنه عبد الله، وأبو موسى الأشعري، وابن عمر، وعمرو بن العاص، وابن مسعود، وعائشة، وأم سلمة وغيرُهم رضي الله عنهم.

* * *

حُنَيف بن رِئاب [بن الحارث] بن أمية من بني عمرو بن عوف، من الطبقة الثانية من الأنصار، شهد أحداً والمشاهدَ كُلَّها معَ رسولِ الله ﷺ، واَستُشْهِدَ يومَ مؤتة، وكان له ولد يقال له: رِئاب، شهد الحديبية وبايع تحتَ الشجرةِ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وقُتِل يوم اليمامة شهيداً[2].

زيد بن حارثة بن شَراحيل بن عبد العزى بن امرئ القَيْس بن عامر، أبو أسامة الكَلْبي، مولى رسولِ الله ﷺ ويقال له: زيد بن محمد، وزيد الحِبِّ، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين، وأمه سُعْدى بنت ثعلبة بن عبد عامر من طيئ، زارت قومها ومعها زيد وهو غلامٌ يَفَعةٌ فأغارت عليهم خيل لبني القَيْن بن قُضاعة فاحتملوا زيداً فوافوا به سوقَ عكاظ فباعوه، فاشتراه حَكيم بن حِزام بن خويلد لعمته خديجةَ بنت خويلد رضوان الله عليها بأربع مئة درهم، وقيل: ست مئة، فلما تزوج رسول الله ﷺ خديجة رضوان الله عليها وهبته له فتبناه.

---

(١) المعارف ٢٠٦ ، والتبيين ١٢٠ .

(٢) تاريخ دمشق ٥/ ٣٧٢ (مخطوط)، ومابين معكوفين منه .

ويقال: إن رسول الله ﷺ اشتراه لما خرج إلى الشام في تجارة لخديجة، وهو وهم.

وقال ابن عبد البَرِّ: تبناه رسول الله ﷺ قبل النبوة بثمانِ سنين[١]، وكان رسول الله ﷺ أكبر منه بعشر سنين.

ولما اشتد حزن أبيه عليه حين فقده أقام مدة يَنْشُده ويبكي وقال الشعر، فمن قوله[٢]: [من الطويل]

بَكيتُ على زيدٍ ولم أَدرِ ما فَعَل ... أَحَيٌّ فَيُرجى أَم أتى دونَه الأَجَلْ
فَوَالله ما أَدرِي وإن كُنْتُ سائِلاً ... أَغالَكَ سهلُ الأَرْضِ أم غَالك الجبلْ
أَلا لَيتَ شِعري هل لك الدَّهْرَ رجعةٌ ... فَحَسبي من الدُّنيا رجوعُكَ لي بَجَلْ
تُذكِّرُنيهِ الشمسُ عند طُلوعِها ... وتَعْرِض ذِكراه إذا قارَبَ الطَّفَلْ
وإن هبَّتِ الأرواحُ هيَّجْنَ ذِكْرَهُ ... فيا طولَ ما حزني عليه ويا وَجَلْ
سأُعْمِلُ نَصَّ العِيسِ في الأرض جاهِداً ... ولا أَسْأَمُ التَّطوافَ أو تسأَمَ الإبِلْ
حياتيَ أو تأتي عليّ مَنِيَّتي ... وكلُّ امرئ فانٍ وإن غَرَّهُ الأَمَلْ
وأُوصي به كعباً وعَمْراً كِلَيْهِما ... وأُوصي يزيداً ثم من بعدهِ جَبَلْ

أراد كعب بن شراحيل أخا حارثة، وأما عمرو فهو ابن عم حارثة وهو عمرو بن الحارث بن عبد العزى، وكنيته أبو بشر، وهو جد محمد بن السائب الكلبي، وأما يزيد فهو أخو زيد بن حارثة لأمه وأبيه، وهو يزيد بن كعب بن شراحيل، وأما جبل: أراد جبلة، وهو أخو زيد لأمه وأبيه.

وذكر بعض النساب، أن حارثة تزوج امرأة من طيئ وقيل: من بني نَبْهان، فأولدها جبلة وأسماء وأسامة وزيداً ثم توفيت أمهم وبقوا عند جدهم لأمهم، وأراد حارثة حَمْلَهم إلى أهله فأبى جدهم وقال: عندي أرفق لهم، ثم تراضوا على أن يَحملَ جبلةَ وأسماء وأسامة ويبقى زيد عنده، فجاءت خيل من تِهامةَ من فَزارة فأغارت على طيئ فسبت زيداً فوافت به سوق عكاظ، فرآه رسول الله ﷺ قبل أن يبعث، فقال لخديجة: «رأيت في السوق غلاماً من صفته كذا وكذا» يصف عقله وأدبه، فأمرت خديجة ورقة

(١) في «الاستيعاب» بهامش «الإصابة» ١/ ٥٤٥: فتبناه رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان سنين.
(٢) الأبيات في «الطبقات» ٣/ ٣٩.

ابن نوفل فاشتراه من مالها، فوهبته لرسول الله ﷺ فتبنّاه إلى أن جاء رجل من كَلْب فنظر إلى زيد فعرفه فقال: أنت زيد بن حارثة؟ فقال: بل أنا زيد بن محمد، فقال: إن أباك وعمومتَك وإخوتَك قد أتعبوا الأبدان وأنفقوا الأموال بسببك[١].

وقيل: حجَّ قومٌ من كلب فرأَوْه بمكة فعرفهم وعرفوه، فقال: هل فيكم من يبلغُ أهلي هذه الأبيات: [من الطويل]

أَلِكْني إلى قومي وإن كنت نائياً ... بأني قطينُ البيتِ عند المَشاعرِ
فكُفُّوا عن الوَجْدِ الذي قد شَجاكمُ ... ولا تُعْمِلوا في الأرض نَصَّ الأَباعرِ
فإني بحمد الله في خَيْرِ أُسْرَةٍ ... كرامِ مَعَدٍّ كابراً بَعْدَ كابرِ

فقالوا: نعم، وانطلقوا فأخْبَروا أهلَه، فخرج أبوه حارثة وكعب ابنا شراحيل فقَدِما مكَّةَ، فسألا عن رسولِ الله ﷺ، فقيل: هو في المسجد، فدخلا فإذا هو في الحِجْرِ قاعدٌ فسلما عليه وقالا: يا ابنَ عبدِ المطلب، يا ابن سيِّدِ قومه أنتم أهلُ الله وجيرانُه وسكانُ حَرَمِه تفكُّون العاني وتطعمون الجائع وتكسونَ العاري وتحملون المنقطع، فقال: «ما الذي بكما»؟ قالا: جئناك في فداء زيدٍ ابننا فامنن علينا أو أحسن في فدائه إلينا، فقال رسول الله ﷺ: «فهلَّا غيرَ ذلك»؟ قالا: وما هو؟ قال: خيراهُ، فإنِ اختارَكُما، فهوَ لكُما بغيرِ فِداءٍ، وإنِ اختارَني، فما أنا بالذي أخْتارُ على مَنْ يَختارُني أَحداً» فقالا: أحسنت والله لقد زِدْتَ على النَّصَفِ، فدعاه رسولُ الله ﷺ وقال: «يا زَيْدُ، أتَعْرِفُ هذين»؟ قال: نعم، هما أبي وعمي، فقال: «أنا مَنْ قد عَلِمْتَ ورأيت صُحبَتي، فاخْتَرني أو اخْتَرْهُما» فقال: ما أنا بالذي أختارُ عليك أحداً، أنت مني بمنزلة الأب والعم، فقالا: ويحك يا زيدُ، أتختار العبودية على الحرية، وعلى أبيك وعمك وأَهْلِكَ؟ قال: نعم، إني قد رأيت من هذا الرجل أشياءَ ما أنا بمفارقه ولا أختار عليه أحداً أبداً. فلما قال ذلك قام رسولُ الله ﷺ في الحِجْرِ وفيه أعيانُ قريش فقال: «يا مَن حَضَرَ مِنَ المَلأ، اشهَدُوا أَنَّ زَيداً ابني، أَرِثُه ويَرِثُني»فلما سمع ذلك أبوه وعمه طابت نفوسُهما وانصرفا شاكِرَيْن، فدعي من ذلك اليوم زيد بن محمد زماناً حتى جاء الإسلام[٢].

---

(١) انظر «تاريخ ابن عساكر» ١٠/ ١٣٧ .

(٢) «الطبقات» ٣/ ٣٩ ـ ٤١ .

وزوجه رسولُ الله ﷺ زينب بنت جحش وطلَّقها وتزوجها رسولُ الله ﷺ فقال المنافقون: تزوجَ محمد زوجة ابنه فنزل قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤٠] الآية، ونزل قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥] فدعي يومئذ زيد بن حارثة. ونُسب كل من تبنَّاه إلى أبيه(١).

وقال أسامة بن زيد: كان بين رسولِ الله ﷺ وبين زيدٍ عشرُ سنين، رسولُ الله ﷺ أكبر منه، وكان رجلاً قصيراً آدم شديد الأُدْمَةِ في أنفه فَطَس(٢).

قال المصنف رحمه الله: قوله: «كان آدم شديد الأُدْمَةِ» وَهْمٌ ولين، ففي حديث محرز المدلجي لما رأى أقدام زيد وأسامة، قال الدارقطني: وكان زيد أبيضَ أحمرَ أشقرَ، وأسامة أسود(٣).

وكُنْيَتُهُ أبو أسامة، وهو أول من أسلم من الموالي، شهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية، واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة لما خرج إلى المرَيْسيع، وأمَّره رسول الله ﷺ في سبع أو تسع سرايا وكان من الرماة المذكورين.

وقالت عائشة رضوان الله عليها: لو عاش زيد لاستخلفه رسول الله ﷺ على الأمة(٤).

وقال ابن عباس: لم يسم أحد من الصحابة باسمه في القرآن إلّا زيد ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عمه حمزة فأوصى حمزة رضي الله عنه إليه.

وقال أسامة بن زيد رضي الله عنه: اجتمع جعفر وعلي وزيد بن حارثة فقال جعفر: أنا أَحَبُّكُم إلى رسولِ الله ﷺ، وقال عليٌّ كذلك، وقال زيد كذلك، فقالوا: انطلقوا بنا إلى رسولِ الله ﷺ نسأَلُهُ، فقال أسامة: فجاؤوا فاستأذنوا عليه فقال: «اخْرُج فانظُرْ مَنْ

(١) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤١، وفيه: ودُعي الأدعياء إلى آبائهم.

(٢) «الطبقات» ٣/ ٤٢.

(٣) «سنن الدارقطني» (١٣٠).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦٤١٠).

هَؤُلاءِ»؟ فخرجت فقلت: هذا جعفر وعلي وزيد ولم أقل: أبي، فقال: «إئْذَن لَهُم» فدخلوا فقالوا: يا رسولَ الله، من أَحبُّ الناس إليكَ؟ قال: «فاطمة»، قالوا: نسألُك عن الرجالِ؟ فقال: «أَمَّا أنتَ يا جعفرُ، فأشبَهَ خُلُقُكَ خُلُقي، وأَنتَ مني وشَجَرتي، وأمَّا أَنت يا عليُّ، فَخَتَني وأبو ولديَّ، وأَنا منكَ وأَنتَ منِّي، وأَمَّا أنتَ يا زيدُ، فَمولايَ ومنِّي وأَحبُّ القوم إليَّ» أخرجه الإمام أحمد رحمة الله عليه في مسند أُسامةَ رضي الله عنه[١].

وقالت عائشة رضوان الله عليها: ما رأيت رسولَ الله ﷺ عُرْياناً قط إلَّا مرَّةً واحدةً؛ جاء زيدُ بنُ حارِثَة من غَزاةٍ فاستفتح فسمع رسول الله ﷺ صوتَه فقام عُرْياناً يجر ثوبَه فاعتنقه وقَبَّله[٢].

وعن الهيثم وابن عبد البَرِّ عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: حدثني أبي قال: اكتريتُ دابَّةً من الطائف إلى مكة فمال بي الكاري إلى خَرِبة فقال: انزل فنزلت فإذا هي مملوءة قتلى، فأراد أن يقتلني فقلت: دعني أُصَلِّي ركعتين فقال: صَلِّ فقد صلى هؤلاء قبلك فما نفعهم صلاتُهم، قال: فصلَّيْتُ ركعتين وأتاني ليقتلني فقلت: يا أرحم الراحمين، فسمع صوتاً يقول: لا تَقْتُله، فخرج يطلب الصوتَ وهابه وعاد ليقتلني فقلت: يا أرحم الراحمين فسمع صوتاً يقول: لا تقتله، فخرج يطلب الصوت وعاد ثالثاً، فبينا أنا كذلك إذا بفارس قد أقبل وبيده حربة فيها شعلة نار فطعنه بالحربة فقتله، فقلت: من أنت؟ فقال: ملك لما دعوت في المرة الأولى، كنت في السماء السابعة، فلما دعوت الثانية كنت في السماء الرابعة، فلما دعوت الثالثة كنت في السماء الدنيا، فقيل لي: أدركه، فأتيتك[٣].

وقال أبو قتادة فارسُ رسول الله ﷺ: لما أصيب زيد بن حارثة أتى رسول الله ﷺ أهله فَجَهَشَتْ إليه ابنة زيد، فبكى حتى انتحب فقال له سعد بن عبادة: يا رسول الله ما هذا؟ قال: «شَوقُ الحَبيبِ إلى حَبيبِهِ»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢١٧٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٧٣٢).

(٣) «الاستيعاب» (بهامش الإصابة) ١/ ٥٤٨ ـ ٥٤٩.

(٤) «الطبقات» ٣/ ٤٤.

وقال علي عليه السلام: قال رسولُ الله ﷺ: «رَأَيتُ جَعفَراً يَطِيرُ في الجنَّةِ تَدمى قادِمَتَاه، ورَأَيتُ زَيدَ بنَ حارِثَةَ دُونَ جَعفَر، فقلتُ: ما أَظُنُّ زَيداً دونَ جَعفر، فقال لي جِبريلُ: لَيسَ زيدٌ بدُونِ جَعفَرٍ، وإنَّما فضَّلْنا جَعفَراً لقَرابَتِهِ مِنكَ»[1].

استشهد زيدٌ وهو ابن خمس وخمسين سنة، وقيل: ابن ثلاث وخَمْسين سنة.

ذكر أولاده

كان رسولُ الله ﷺ قد زَوَّجَ مولاتَه وحاضِنَتَهُ زيدَ بن حارثة فولدت له أسامة وكان زيد يكنى به، وكانت تزوجت في الجاهلية قَبْلَ زيدٍ عبيدَ بنَ عمر[2] بن بلال الخزرجي، فولدت له أيمن فكنيت به، استشهد أيمن يوم خيبر.

وقال محمد بن السائب: قدِمَتْ أم كلثوم بنت عقبة ـ وأمها أروى بنت كُرَيْز وأم أروى أمُّ حكيمٍ البيضاءُ بنت عبد المطلب ـ مهاجرةً إلى المدينة، فخطبها جماعة منهم: زيد بن حارثة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وعمرو بن العاص، فاستشارت أخاها لأمها عثمانَ رضوان الله عليه فقال: استشيري رسول الله ﷺ فاستشارته فأشار عليها بزيد، فتزوجته فولدت له زيد بن زيد، مات وهو صغير، ورُقيَّةَ ماتت في حِجْر عُثمان رضي الله عنه، وطلَّقَ زيد أُمَّ كُلثوم فتزوَّجَها عبدُ الرحمن بن عوف رضي الله عنه ثم عمرو بن العاص، ولما طلَّق زيدٌ أم كلثوم تزوج دُرَّة بنتَ أبي لهب، ثم طلَّقها وتزوج هند بنت العوام[3].

وأخرج الإمام أحمد رحمه الله في «المسند» لزيد حديثاً واحداً عن أسامة بن زيد، عن أبيه زيد بن حارثة عن النبي ﷺ: «أنَّ جبريلَ أَتاه في أَوَّلِ ما أُوحِيَ إليهِ فَعَلَّمهُ الوُضُوءَ والصَّلاةَ، فلمَّا فَرَغَ مِنَ الوُضُوءِ أَخَذَ غَرْفَةً مِنَ الماءِ فَنَضَح بها فَرْجَه»[4].

* * *

(١) «الطبقات» ٤/ ٣٥.

(٢) في «الطبقات» ١٠/ ٢١٢: عبيد بن زيد.

(٣) «الطبقات» ٣/ ٤٣.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٤٨٠).

سراقة بن عمرو بن عطية، وأمه عُتَيْلَة[١] بنت قيس نجارية، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار، أبلى يوم مؤتة بلاء حسناً وليس له عَقِب.

عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الأنصاري الخزرجي، من الطبقة الأولى من الأنصار، وأمه كبشة بنت واقد، وكنيته أبو رواحة، وقيل: أبو محمد، وقيل: أبو عمرو، وهو أحد النقباء الاثني عشر، شهد العقبة مع السبعين، وبدراً وأُحُداً والخندق والحديبية وعُمْرةَ القضاء وخيبر، واستخلفه رسولُ الله ﷺ على المدينة في غزاة بدر الموعد، وبعثه بشيراً إلى أهل العالية بغزاة بدر، وأرسله إلى أُسير بن رِزام اليهودي فقتله بخيبر، وظلَّ يَخْرُصُ كلَّ عامٍ نخل خَيْبَرَ إلى أن استُشْهِدَ.

وقال موسى بن عقبة: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى خيبر يَخْرُصُ نَخْلهم ويقاسِمُهم، جعلوا يُهدون له من الطَّعامِ وجمعوا من حُلِيِّ نسائهم وقالوا: هذا لك وخفِّفْ عنا وتهاونْ في القَسم. فقال: يا معاشر يهود، والله إنكم لَمِنْ أبغض خلق اللهِ إليَّ، وإنما بعثني رسولُ الله ﷺ عَدْلاً بينه وبينكم، فلا إرْبَ لي في دنياكم ولن أحيفَ عليكم، وإنما عرضتم علي السُّحْتَ وأَنا لا آكله، فلما أقام الخَرْصَ خيَّرَهم فقال: إن شئتم ضمنت لكم نصيبكم وإن شئتم ضمنتم لنا وقمتم عليه، فاختاروا أن يَضْمَنوا ويُقيموا عليه. وقالوا: يا ابن رواحة هذا الذي تعملون، به تقومُ السماء والأرض، وإنما يقومان بالحق.

وقال أبو الدرداء: لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في اليوم الشديد الحر، [حتى] إنَّ الرجلَ ليضَعُ يَدَهُ على رأسه من شدة الحر وما في القوم صائمٌ إلا رسولُ الله ﷺ وعبدُ الله بن رواحة[٢].

وقال النعمان بن بشير: أغمي على خالي عبد الله بن رواحة فجعلت أخته تبكي وتقول: واجَبَلاه وارُكْناه، وتُعَدِّد عليه، فلما أفاق قال: ما قلتِ شيئاً إلا وقيل لي: أنت كذلك؟[٣].

---

(١) في النسخ: عقيلة، و المثبت من طبقات ابن سعد ٣/ ٤٨٠.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٤٥)، ومسلم (١١٢٢) (١٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٦٧).

ومدح عبدُ الله بن رواحة رسولَ الله ﷺ كثيراً، وكان شاعراً فصيحاً، واستنشده رسول الله ﷺ فأنشد: [من البسيط]

يا هاشم الخَيْرِ إن الله فضلكم ... على البرية فضلاً ماله غِيَرُ
إني تَفَرَّسْتُ فيك الخيرَ أعرِفُه ... والله يعلم أنْ ما خانني البصرُ
أنتَ النبيُّ ومن يُحْرَمْ شفاعته ... يَومَ الحسابِ فقد أَوْدى به القدرُ
فَثبَّتَ الله ما آتاكَ من حَسَنٍ ... تَثبيتَ موسى ونصراً كالذي نُصِرُوا

فقال رسول الله ﷺ: «وأنتَ يا عبدَ اللهِ فَثبَّتَكَ اللهُ أَحسَنَ الثَّباتِ»(١).

وقال قيس بن أبي حازم: قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن رواحة: «انزل، فَحرِّك بنا الرِّكابَ» فقال: يا رسول الله قد تركتُ قولي، فقال له عمر بن الخطاب رضوان الله عليه: اسمع وأَطِع، فنزل وجعل يقول:

يا رب لولا أنت ما اهتدينا ..... الأبيات

فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ ارْحَمهُ» فقال عمر: وجبت(٢).

ومعنى قوله: «تركت قولي» لما نزل قوله تعالى ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٤] قال ابن رواحة: هل ترى أنا منهم وترك الشعر، فنزل قوله تعالى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] الآية(٣).

وقد رثاه ورثى أصحابه رضي الله عنهم حسان بن ثابت فقال: [من الطويل]

تأوَّبَني ليلٌ بِيَثْرِبَ أَعْسَرُ ... وهمٌّ إذا ما نَوَّمَ القومُ مُسْهِرُ
لذكرى حبيب هيجت ليَ عَبْرةً ... سَفوحاً وأسباب البكاءِ التذكُّرُ
بلى إن فِقْدانَ الحبيبِ بَليَّةٌ ... وكَمْ من كريمٍ يُبْتلى ثم يَصْبِرُ
رأيتُ خِيار المؤمنين تتابعوا ... بمُؤتَةَ منهم ذو الجناحَينِ جَعفرُ
وزيدٌ وعبدُ الله اِبنُ رواحة ... تداعوا وأسباب المنيَّةِ تخطرُ

(١) انظر «الطبقات» ٣/ ٤٨٩، و«تاريخ دمشق» ٢/ ٦، و«سير أعلام النبلاء» ١/ ٢٣٤.
(٢) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤٨٨.
(٣) «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤٨٩.

غَداةَ [مضوا] بالمؤمنين يقودُهم إلى الموت مَيْمونُ النقيبةِ أَزْهَرُ
أَغَرُّ كضَوْءِ البدر من آل هاشمٍ أَبيٌّ شريف القدر يَقْظانُ أَحْورُ[1]

وليس لابن رواحة عَقِبٌ، وقد روى الحديث فأخرج له البخاري حديثاً موقوفاً[2].

وعن عبد الله بن رواحة أنه قدم من سفرٍ ليلاً فتعجل إلى امرأته، فإذا في بيته مصباح، وإذا مع امرأته صبي، فأخذ السيف فقالت امرأته: إليك عني فهذه فلانةُ تُمشطني، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، فنهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً[3].

وعن عكرمة مولى ابن عباس: أن عبد الله بن رواحة كان مضطجعاً إلى جنب امرأته، فقام وخرج إلى الحُجْرة فواقع جارية له، وانتبهت امرأتُه فلم تره، فخرجت فإذا هو على بطن الجارية، فرجعت وأخذت شَفْرةً وخرجت فلقيها فقال: مهيم؟ فقالت: أما إني لو وجدتُكَ حيث كُنْتَ لَوَجَأْتُك بها فقال: وأين كنتُ؟ فقالت: على بطن الجارية فقال: ما كنت، قالت: بلى، قال: فإن رسول الله ﷺ نهى أن يقرأ القرآن وهو جُنبٌ، فقالت: فاقرأ فقال: [من الطويل]

أتانا رسول الله يتلو كتابه كما لاح مشهور من الصبح طالع
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أنَّ ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالكافرين المضاجعُ

فقالت المرأة: آمنت بالله ورسوله وكذبت بصري، قال: فغدوت إلى النبي ﷺ وأخبرته فضحك حتى بدت نواجذه[4].

قال الإمام أحمد رضوان الله عليه: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الحجاج، عن الحكم، عن مِقْسَم، عن ابن عباس قال: بعث رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بنَ رواحة في سَرِيَّةٍ فوافق ذلك يومَ الجمعة فقدَّمَ أصحابه وقال: أَتَخَلَّفُ فأصلي مع رسول الله ﷺ الجُمُعَة ثم ألحقهم،

(١) الأبيات في السيرة ٢/ ٣٨٤ وما بين معكوفين منها .

(٢) هو حديث الإغماء المتقدم عند المصنف، وانظر «الجمع بين الصحيحين» (٣٠٢٠)، وجاء في النسخ بعد قوله: موقوفاً: «رفعه»، ولم يتضح لنا المراد منه، فأثبتناه هكذا .

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٧٣٦) .

(٤) أخرجه الدار قطني في «السنن» ١/ ١٢٠، وانظر سير أعلام النبلاء ١/ ١٣٨.

فلما صلى رآه رسول الله ﷺ فقال له: «لو أَنْفَقْتَ ما في الأَرضِ ما أَدرَكْتَهُم»[١].

عبد الله بن الربيع بن قيس بن عامر الخزرجي، من الطبقة الأولى من الأنصار، وأمه فاطمة بنت عمرو نجارية، شهد العقبة وبدراً واستشهد بمؤتة.

عبد الله بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، من الطبقة الأولى من المهاجرين وأمه صفية بنت المغيرة مخزومية، وكان اسمه الحكم فسماه رسول الله ﷺ عبد الله.

عَبَّاد بن قيس بن عَبَسة، وقيل: عُبادة بن قيس بن أمية، من الطبقة الأولى من الخزرج شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

عبيد بن المُعلَّى بن لَوْذان الزُّرَقي، وأمه إِدامُ بنتُ عَوْفٍ نجارية، وهو من الطبقة الثانية من الأنصار.

قيس بن عمرو بن زيد[٢] بن مَبْذول، من الطبقة الثانية من الأنصار، وأمه شَيْبَةُ بنتُ عاصم، شهِد المشاهد كُلَّها مع رسول الله ﷺ وقُتِلَ معه يوم مؤتة أخوه لأبيه وأُمِّه: جابرٌ.

مسعود بن سُوَيد بن حارثة، من بني عدي بن كعب، من الطبقة الأولى من المهاجرين.

وهب بن سعد بن أبي سَرْح بن الحارث بن حبيب بن جَذيمة بن مالك بن حِسْلٍ بن عامر بن لؤي، وأمه مُهانَةُ بنت جابر من الأشْعريين، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين، شهد بدراً في قول أكثرهم، وشهد أحداً والخندق والحديبية وخيبر، ولما هاجر إلى المدينة نزل على كلثوم، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سويد، فقتلا جميعاً يوم مؤتة شهيدين، ووهبٌ ابنُ أربعين سنةً[٣].

* * *

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٩٦٦).

(٢) وهو قيس بن أبي صعصعة.

(٣) انظر التراجم السالفة في طبقات ابن سعد (على الترتيب) ٣/ ٤٩٩، ٥/ ١٢، ٣/ ٤٩٤، ٤/ ٤٠٤، ٣/ ٤٧٩، ٤/ ١٣١، ٣/ ٣٧٧.

وفيها: كانت سرية عمرو بن العاص إلى ذات السَّلاسِل[١]، وهي وراء ذات القُرى، وبينها وبين المدينة عشر ليالٍ في جمادى الأولى، وقيل: كانت قبل غزاة مؤتة.

قال أبو محمد ابن حزم: بلغ رسولَ الله ﷺ أن جَمْعاً من قُضاعةَ قد جمعوا للغارة على المدينة، فعقد لعمرٍو لواءً أبيضَ ورايةً سوداءَ، وبعث معه ثلاث مئة من المهاجرين والأنصار، فبلغه أن القوم في جمع عظيم، فبعث رافع بن مَكِيْثٍ الجُهَني إلى رسول الله ﷺ يستمدُّه، فأمدَّه بأبي عبيدةَ بن الجراح رضي الله عنه في مئتين من المهاجرين والأنصار، فيهم أبو بكر وعمر رضوان الله عليهم، وإنما أَمَّرَ عمرو بنَ العاص وقدَّمه على من ذُكِرَ لأن جَدَّته أمَّ العاص بن وائل من قُضاعة، وقيل: من بَلِيٍّ، وأمَّره لهذا المعنى، وأوصى رسولُ الله ﷺ أبا عبيدة رضي الله عنه أن لايخالف عمراً فأدركه بأَرْضِ جُذام بذات السلاسل، وجاء وقت الصلاة فتقدم أبو عبيدة، فقال عمرو: أنا الأمير وأنت جِئْتَ مَدَداً، فقال: يا عمرو، إن رسول الله ﷺ أوصاني وقال «لا تختلفا»، فإن عصيتني أطعتك، دونَك فصلِّ بالناس، فصلى، وساروا نحو القوم فهربوا، فغنم المسلمون أموالهم وبعثوا بها إلى المدينة، وكتب عمرو إلى رسول الله ﷺ كتاباً يخبره بهزيمةِ العدو وَوَطْءِ بلادِهم، وأنْفَذَهُ مع عوف بن مالك الأشجعي[٢].

وقال عمرو: لما بعثني رسولُ الله ﷺ عامَ ذاتِ السلاسل، فاحتلمتُ في ليلةٍ باردةٍ شديدةِ البَرْد فأشفقت إنِ اغتسلتُ أن أَهْلِكَ، فتيمَّمْتُ ثم صلَّيْتُ بأصحابي صلاةَ الصُّبحِ، فلما قدِمنا على رسول الله ﷺ ذكرتُ له ذلك فقال: «يا عمرو صلَّيْتَ بأصحابكَ وأنت جُنُبٌ؟» فقلت: نعم يا رسول الله إني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد فأشفقت إنِ اغتسلتُ أن أهلِك، وذكرت قولَ الله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] فتيممت ثم صليت، فضحك ولم يقل شيئاً[٣].

قال ابن إسحاق: ومنع عمرو أصحابه أن يُوْقِدوا في تلك الليلة ناراً وكانت ليلة

---

(١) «السيرة» ٢/ ٦٢٣، و«المغازي» ٢/ ٧٦٩، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ١٢١، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٣٢، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٤/ ٣٩٧، و«المنتظم» ٣/ ٣٢١، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢٧٣.

(٢) انظر «الطبقات» ٢/ ١٢٢.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٨١٢).

باردةً، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فسأله فقال: كان في أصحابي قِلَّةٌ وفي العدوِّ كَثْرَةٌ فخشيت فقال: «أصبتَ»[١].

وفيها: كانت سرية الخَبَطِ[٢]، وأميرهم أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، بعثه رسول الله ﷺ في ثلاث مئة من المهاجرين والأنصار قِبَلَ جُهينةَ، فأصابهم جَهْدٌ عظيم، فأكلوا الخَبَط حتى صارت أشداقهم كأشداق الإبل.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا حسن بن موسى، حدَّثنا زهير، حدَّثنا أبو الزبير[٣]، عن جابر قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأمّر علينا أبا عبيدة نتلقَّى عيرَ قريش وزوَّدَنا جِراباً من تمر، لم يَجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يُعْطينا تمرةً تمرةً، قال: فكيف كنتم تَصْنَعونَ بها؟ فقال: كنا نَمُصُّها ثم نشرب عليها الماء فتَكْفِينا إلى الليل قال: وكنا نَضْرِبُ بعصِيِّنا الخَبَطَ ثم نبلُّه بالماء فنأكله، قال: وانطلقنا إلى ساحل البحر فرُفِعَ لنا على ساحل البحر مثل الكثيب الضخم، فأتيناه فإذا هو دابة تدعى العَنْبَر قال أبو عبيدة: مَيِّتَةٌ، ثم قال: لا، بل نحنُ رسلُ رسولِ الله ﷺ وفي سبيله وقد اضطررنا فكُلوا، فأقَمنا عليه شهراً ونحن ثلاث مئةٍ حتى سَمِنّا، ولقد رأيتُنا نَغْتَرِفُ من وَقْبِ عينيه بالقِلال الدُّهْنَ، ونقطِّع منه الفِدَرِ كقَدْرِ الثور، قال: ولقد أخذ أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأَقعدهم في وَقْب عينه وأخذ ضِلَعاً من أضلاعه فأقامها ثم رَحَل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمه وشائق، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا له ذلك فقال: «هوَ رِزْقٌ أَخرَجهُ الله لَكُم، فَهَل مَعَكُم مِن لَحمِهِ شَيءٌ فَتُطعِمُونا؟» فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله. أخرجه مسلم[٤].

* * *

(١) وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٤٥٤٠).

(٢) «السيرة» ٢/ ٦٣٢، و«المغازي» ٢/ ٧٧٤، و«الطبقات» ٢/ ١٢٢، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٣٢، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٤/ ٤٠٦، و«المنتظم» ٣/ ٣٢٢، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢٧٦.

(٣) في النسخ «أبو الوليد» والمثبت من مصادر التخريج.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٤٣٣٨)، ومسلم (١٩٣٥)، وأخرجه البخاري (٤٣٦٠) من طريق وهب بن كيسان عن جابر. قوله: «وقب»: هو النقرة التي تكون فيها الحدقة. و«الفدر»: جمع فَدْرة، وهي القطعة من اللحم و«وشائق» أن يؤخذ اللحم فيغلى قليلاً ولا ينضج، ويحمل في الأسفار.

وفيها: كانت سَرِيَّةُ أبي قَتادَةَ الأنصاري إلى خَضِرةَ[١]، وهي أرض مُحارب بنجد، في شعبان، بعثه رسولُ الله ﷺ في ستة عشر رجلاً، فشنُّوا الغارة على غَطَفان، وقتلوا أَشْرافهم، وساقوا مئتي بعير وألفي شاة وأربعَ نِسْوَة.

وقيل: كان أميرُ هذه السَّرِيَّةِ عبدَ الله بنَ أبي حَدْرَد الأسلمي، وهو وَهْم؛ لأن سرية ابن أبي حَدْرَد إلى قيس بن رفاعة الجشمي في شعبان.

هذا ذكرُ سرية عبد الله بن أبي حَدْرَد:

قال الإمام أحمد رحمة الله عليه: حدَّثنا يعقوب، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر، عن عبد الواحد[٢] بن أبي عون، عن جدته، عن عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلمي أنه ذكر أنه تزوج امرأة، فأتى رسول الله ﷺ يستعينه في صَداقِها، فقال: «كَم أَصْدَقتَها؟» قال: مئتي درهم، قال: «لو كُنتُم تَغْرِفُونَ الدَّراهِمَ من وَادِيكُم هذا ما زِدْتم، ما عِندي ما أُعطيكَ» قال: فمكثتُ، فدعاني رسول الله ﷺ فبعثني في سريَّة نحو نجد وقال: «لَعَلَّك أَنْ تُصيبَ شيئاً فأُنَفِّلَكَهُ».

قال: فخرجنا حتى جئنا الحاضِرَ مُمْسينَ، فلما ذهبت فَحمةُ العِشاء، بَعَثَنا أميرُنا رَجُلَيْنِ رَجُلَيْنِ فأَحطنَا بالعسكر، وقال: إذا كَبَّرْتُ وحَمَلْتُ فكبِّروا واحمِلُوا، قال: وسمعت رجلا منهم يصيح: يا خَضِرةُ، فتفاءلتُ بأَنا سنُصيبُ منهم خَضِرة، فلما أَغْنَمنا كبَّر أميرُنا وحمل، فكبَّرنا وحملنا، وكلُّ اثنين مِنَّا في ناحيةٍ، قال: فمر بي رجل في يده سيف فاتَّبعته، فقال لي صاحبي: إن أميرنا عهد إلينا أن لا نُمْعِنَ في الطَّلبِ، فقلت: والله لأَتْبَعَنَّهُ، فتبعته ورميته بسهم على جُرَيْداءِ مَتْنِه فوقع، وقال: أُذْنُ يا مُسلمُ إلى الجنة، فلم أَدْنُ إليه ورميته بسَهْم آخرَ فأثخنتُه فرماني بالسيف فأخطأني، وأخذت السيف فقتلته به واحتززتُ به رأسه، وشددنا عليهم فأخذنا نَعماً كثيراً وغَنِمْنا وانصرفنا، فأصبحت فإذا بعيري مقطورٌ ببعيرٍ عليه امرأةٌ شابَّةٌ جميلةٌ، فجعلَتْ تلتفتُ إلى خلفها وتكثرُ الالتفات، فقلتُ لها: إلى أينَ تلتفتينَ؟ فقالت: إلى رجل لو كان حيًّا لخالَطَكُم، قال: وظننت أنه صاحبي، فقلت: والله قد قَتَلْتُه وهذا سيفه، وهو معلَّق في قَتَبِ البعير

(١) «المغازي» ٢/ ٧٧٧، و«الطبقات» ٢/ ١٢٣، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٣٤، و«المنتظم» ٣/ ٣٢٣.

(٢) في النسخ: «عبد الله» والمثبت من أحمد.

الذي أنا عليه، وغِمْدُ السيف الذي ليس فيه شيء معلَّقٌ بقَتَبِ بعيرها، فلما قلت لها ذلك قالت: دونَكَ هذا الغمد فشِمْهُ فيه إن كنت صادقاً، فأخذته فشِمْتُه فطبَّقته، فلما رأت ذلك بكت، وقدمنا على رسولِ الله ﷺ فأعطاني من ذلك النَّعم الذي قَدِمْنا به[١].

وقال الواقدي: كان عبد الله بن أبي حدرد قد تزوج امرأة، فاستعان برسولِ الله ﷺ في مهرها، فقال: «كَم مَهْرُها»؟ قال: أصدَقْتُها مئتي درهم، فقال: «سُبحان اللهِ، لو كُنتُم تأخُذُونَ الدَّراهِمَ مِن بَطنِ وادٍ ما زِدْتُم على هذا، ما عِندِي ما أُعطِيكَ» فأقمتُ أياماً وأقبل قيس بن رِفاعةَ الجُشَمي في جيشٍ كثيفٍ فنزل الغابةَ يريد أن يجمع الناسَ على حَرْبِ رسولِ الله ﷺ، فدعاني رسولُ الله ﷺ ورجلين من المسلمين وقال: «اخرُجُوا إلى هذا الرجُلِ، وأتُوني بخَبرِه» وأعطانا شارِفاً عجفاءَ فحملنا عليها أحدَنا فما قامت حتى دعمها الرجالُ من خلفها وقال: «تبلَّغُوا علَيها واعتَقِبُوها»، قال: فخرجنا إلى الحاضِرِ عشيّةً مع غُروبِ الشمس، وكمنْتُ في ناحية وكمن صاحباي في ناحية، وقلت لهما: إذا سمعتماني قد كبَّرتُ فكبِّروا وشُدُّوا معي على القوم، ثم كبَّرتُ وكبَّرا وشددنا عليهم، وكان لهم راعٍ فأبطأ عليهم، وكان قيسُ بن رِفاعةَ قد خَرجَ في طلبه بنفسه، قال عبد الله: ومرّ بي فرميتُه بسَهْم فوقع في فؤاده فمات وسيفه في عنقه، فوثبت إليه فقطعت رأسه، ثم شددنا على القوم فصاحوا: النَّجاءَ النَّجاءَ، واستَقْنا إبلاً كثيرة وغَنِمنا وجئنا بها إلى رسول الله ﷺ، فوضَعْتُ رأس قيس بين يديه فدعا لي وأعانني بثلاثة عشر بعيراً، فسقت مهر امرأتي من بعضها[٢].

وفيها: كانت سرية أبي قتادة الأنصاري إلى بَطْنِ إِضَم[٣]، جبل بينه وبين المدينة ثلاثةُ بُرُدٍ، وكان في السَّرية مُحَلِّمُ بنُ جَثَّامة اللَّيثي وعبدُ الله بن أبي حَدْرَد المذكورُ آنِفاً.

قال عبد الله: فلقينا عامِرَ بنَ الأَضْبط الأشْجعي على قَعودٍ، فسلَّم بتحية الإسلام فأمسكنا عنه، وحمل عليه مُحَلِّم بنُ جَثّامةَ فقتله لشيء كان في نفسه وأَخذ بعيره وسَلَبه،

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٣٨٨٢).

(٢) «المغازي» ٢/ ٧٧٧ ـ ٧٨٠.

(٣) «الطبقات» ٢/ ١٢٣، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٣٥، و«المنتظم» ٣/ ٣٢٣، وفي «السيرة» ٢/ ٦٢٦ غزوة ابن أبي حدرد.

فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه الخبر، فأنكر علينا رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤] الآية[١].

قال المصنف رحمه الله: وهذا أحد الأقوال في سبب نزول هذه الآية.

والثاني: أن المقداد خرج في سرية إلى قوم، فوجدهم قد تفرقوا وبقي منهم رجلٌ كثيرُ المالِ، فقصده المقداد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقتله، فنزلت هذه الآية[٢].

والثالث: أن رجلاً من بني سُلَيم مرَّ على نفر من المسلمين ومعه غنم فسلم عليهم فقالوا: ما سلَّم إلا مُتَعَوِّذاً، فقتلوه وأخذوا غنمه[٣].

والرابع: أنها نزلت في سرية كان فيها أسامة بن زيد رضي الله عنهما أغار على قوم فهربوا وبقي منهم رجل قد أسلم يقال له: مِرْداس، فسلَّم عليهم، فقتله أسامة[٤].

وقيل: إنما كان أميرُ السرية غالبَ بنَ فَضالةَ وأسامة معه.

وقال الواقدي: إنما بعث رسول الله ﷺ هذه السرية في رمضان، وكانوا ثمانيةً، ثم خرجوا إلى غزاة الفتح فبلغهم خروجه فوافَوْه بالسُّقْيا[٥].

وفيها: عُمِلَ المنبرُ، وقيل: في سنة سبع، قيل: عمله غلام للعباس يقال له: كِلاب، وقيل: صُباح، وقيل: غلام لامرأة من الأنصار يقال له: مِيْنا.

وقال أبو هريرة: كان رسول الله ﷺ يخطب إلى جذع في المسجد، فشق عليه القيام فقال له تميم الداري: يا رسول الله، ألا أصنع لك منبراً كما يصنعون بالشام؟ فشاور رسول الله ﷺ أصحابه فقالوا: لا بأس به، فقال العباس بن عبد المطلب: يارسول الله،

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٣٨٨١).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٣٧٩) من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث سرية فيها المقداد بن الأسود... وأخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ص١٦٥ من حديث سعيد بن جبير قال: خرج المقداد بن الأسود في سرية ....

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٠٢٣) من حديث ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٥/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٥) انظر «الطبقات» ٢/ ١٢٣ ـ ١٢٤.

إن لي غلاماً يقال له: كلاب، أَعمَلُ الناس لهذا، فقال له ﷺ: «مُرهُ فَليَعْملْه»، فأرسله إلى أَثْلِ الغَابة فقطع أَثْلةً، وعمل فيها دَرَجَتَيْنِ ثُمَّ جاء به فوضعه موضعه اليوم، فجاء رسولُ الله ﷺ فقام معه وقال: «مِنبَري هذا على تُرْعَةٍ من الجنة، وقَوائمهُ رَواتِب في الجنَّةِ» ثم سنَّ الأيمان على الحقوق عند منبره وقال: «مَن حَلَفَ عند مِنبَري كاذِباً فَلْيَتبوَّأ مَقْعَده مِنَ النَّارِ»(١).

وعن جابرِ بن عبد الله قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ ما بينَ مِنْبَري إلى حُجرَتي رَوضةٌ مِن رِياضِ الجنَّةِ، وإنَّ مِنْبَري على تُرْعَةٍ من تُرَعِ الجنَّةِ»(٢).

وقال جابرٌ: كان رسولُ الله ﷺ يخطُبُ إلى جذع نخلة، فقالت امرأة من الأنصار كان لها غلام نجار: يا رسول الله إن لي غلاماً نجاراً، أفلا آمره يتخذ لك منبراً تخطب عليه؟ قال: «بلى»، قال: فاتخذ له منبراً، فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر، فإنَّ الجذع الذي كان يقوم عليه كان يئنُّ كما يئنُّ الصبي، فقال النبي ﷺ: «إن هذا بكى لِما فَقَدَ مِنَ الذِّكْرِ». انفرد بإخراجه البخاري(٣).

وعن جابر بن عبد الله قال: كان النبي ﷺ إذا خَطَب يستند إلى جِذع نخلة من سَواري المسجد، فلما صُنِعَ له منبره واستوى عليه اضطَربت تلك الساريةُ كحنين الناقة، حتى سمعها أهل المسجد، حتى نَزل إليها فاعتنقها فسكتت. أخرجه الإمام أحمد في «المسند»(٤).

ولم يزل المنبر على حاله حتى حج معاويةُ بَعْدَما بُويعَ، فزاد فيه ستَّ درجات، فشق ذلك على الصحابة رضي الله عنهم وقالوا: غيَّر آثارَ رسول الله ﷺ وابتدع في الإسلام، فقال لهم سعيد بن المسيب: يا قوم لا تعجبوا من هذا واعجبوا من مروان بن الحكم كيف يقوم مقامَ رسول الله ﷺ يميت السُّنَنَ ويحيي البدع.

وكان عزمُ مُعاويةَ إذا عاد من الحج نقْلَ المِنبرِ إلى الشام، فلما قفل من الحج أمر

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢١٥.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١٥١٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٨٤)، واللفظ لأحمد في «مسنده» (١٤٢٠٦).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٤١٤٢).

بنقله فأظلمت الدنيا وزُلزلت وجاءت الصواعقُ من كل مكان، فتركه وبقي على تلك الحال مدة أيام بني مروان، فلما ولي السفاح ردَّهُ إلى ما كان عليه في عهد رسول الله ﷺ وبقيت آثاره.

* * *

وفيها: كانت غزاةُ الفتحِ في رمضان[١]، أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد مؤتة جمادى الآخرة ورجب وشعبان.

قال الواقدي: كانت خزاعة في الجاهلية قد أصابوا رجلاً من بكر وأخذوا ماله، فمر رجل من خزاعة على بني الدِّيل بعد ذلك فقتلوه، ووقعت الحرب بينهم[٢].

قال ابن إسحاق: كان الذي أهاج الحرب بين خزاعةَ وبكرٍ، أن رجلاً من بني الحضرمي يقال له: مالك بن عَبَّاد خرج[٣] تاجراً، فلما توسَّط أرض خُزاعةَ عَدَوْا عليه فقَتَلُوه، وأخذوا ماله، فعدت بنو بكر على رجلٍ من خزاعة فقتلوه، واستمرتِ الحربُ، فمرَّ بنو الأسود بن رِزْن ـ وهم ذُؤَيب وكُلْثوم وسَلْمى ـ فقتلوهم عند أنْصاب الحرم بعرفة، وكان بنو الأسود يُدَوْن في الجاهلية بدِيَتَيْن لفَضْلِهم في بني بكر. فبينا بنو بكرٍ وخزاعة على ذلك جاء الإسلام فحجز بينهم، فلما كان صلحُ الحديبيةِ دخلت خزاعةُ في عهد رسول الله ﷺ، وبكرٌ في قريش، على ما تقدم.

قال الواقدي: وكانت خزاعة حُلَفاءَ لعبد المطلب، فجاءت رسولَ الله ﷺ يوم الحديبية بكتاب الصلح فقرأه أبيّ بن كعب عليه وفيه:

باسمك اللَّهم، هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة، إذْ قَدِمَ عليه سَرَواتُهم وأهل الرأي منهم، غائبُهم مُقِرٌّ بما قضى عليه شاهدهم، إن بيننا وبينهم عهودَ الله وعقودَه، ما لا يُنسى أبداً، ما أشرفَ ثَبير وثبت حِراء، وما بَلَّ بحرٌ صُوفة، لا يزداد

(١) «السيرة» ٢/ ٣٨٩ ، و«المغازي» ٢/ ٧٨٠ ، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ١٢٤ ، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٤٢ ، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ٣ ، و«المنتظم» ٣/ ٣٢٤ ، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢٧٨ .

(٢) «المغازي» ٢/ ٧٨١.

(٣) في «النسخ» مالك بن عباد بن خلف، وما أثبتناه من «السيرة» ٢/ ٣٨٩ ، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٤٣ .

فيما بيننا وبينكم إلّا تَجَدُّداً أَبَدَ الدهر سَرْمداً.

فقال رسول الله ﷺ: «ما أَعرَفَني بحقِّكُم وأَنتم على ما أَسْلَفتُم عليه مِنَ الحِلْفِ، وكلُّ حِلفٍ كانَ في الجاهِليَّةِ لا يَزيْدُه الإسلامُ إلَّا تَأكِيداً»(١).

ولمسلم: عن جابر بمعناه، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «لا حِلْفَ في الإسْلامِ، وأَيُّما حِلْفٍ في الجاهِليَّةِ لم يَزِدهُ الإسلامُ إلَّا شِدَّةً، ولا حِلْفَ في الإسلام»(٢).

قال الواقدي: وكان آخرَ ما كان بين خزاعة وكنانة وبكر أن أنس بن رهم الدِّيلي هجا رسولَ الله ﷺ فسمعه غلامٌ من خزاعةَ فضربه فشجه، فثار الشرُّ مع ما كان بينهم من العداوة، فلما دخل شعبان هذه السنة كلَّمت بكرٌ أشرافَ قريش في النُّصرة على خزاعة، فأعانهم على ذلك صفوان بن أمية ومِكْرَزُ بن حفص وحُوَيْطبُ بن عبد العزى وعِكرمةُ بن أبي جهل ولم يشاوروا أبا سفيان بن حرب، وقيل: إنهم شاوروه فأبى عليهم، ثم اتَّعدوا الوتيرَ: ماءٌ قريب من مكة، وخرج رؤساء قريش بمن معهم إلى بكر، ورأس بكر نوفل بن معاوية الدِّيلي، فبيَّتُوا خزاعةَ ليلاً وهُمْ غارُّون، فلم يزالوا يقاتِلونهم حتى انتهَوْا إلى الحرم ودخلوا دارَ زَيْدِ بن وَرْقاء، وعاد رؤساء قريش في عمايةِ الصُّبْحِ إلى منازلهم وهم يظنون أنهم لم يُعْرَفوا وأَنَّ هذا لا يبلغ رسولَ الله ﷺ. وقَتَلوا من خُزاعة عشرين، فلما أصبحوا ندمت قريشٌ وعرفوا أنه سببٌ لنقض العهد بينهم وبين رسولِ الله ﷺ (٣).

وجاء الحارثُ بن هشام وعبدُ الله بن أبي ربيعة إلى أبي سفيان بن حربٍ وأخبراه بما فعل القومُ، فقال: هذا أمر لم أشهده ولم أغب عنه وإنه لشرٌّ، والله ليغزونا محمد، ولقد حدثتني هند بنت عتبة أنها رأت رؤيا كرهتها، رأت دماً أقبل من الحَجون يسيلُ حتى وقف بالخَنْدَمةِ، فكره القومُ ذلك، فقال له الحارث: ما لها سِواك؛ أُخْرجْ إلى محمد فكلِّمه في تجديد العهد وزيادة المدة.

---

(١) «المغازي» ٢/ ٧٨١ ـ ٧٨٢ .

(٢) أخرجه أحمد (١٦٧٦١)، ومسلم (٢٥٣٠) من حديث جبير بن مطعم، وليس من حديث جابر .

(٣) «المغازي» ٢/ ٧٨٣ ـ ٧٨٤ .

وقيل: إن أبا سفيان قال ذلك ابتداء، فخرج أبو سفيان ومولى له على راحلتين وهو يرى أنه أول من يخرج إلى رسول الله ﷺ فأسرع السير[١].

وقال رسولُ الله ﷺ لعائشة رضوان الله عليها صبيحة كانت الوَقْعة بالوَتير: «يا عائِشَةُ، قد حَدَثَ في خُزاعةَ أَمرٌ»، فقالت: أفترى قُريشاً تجترئ على نقض العهد بينك وبينهم وقد أفناهم السيف؟ فقال رسول الله ﷺ: «يَنقُضونَ العَهدَ لأَمرٍ يُريدُهُ اللهُ تعالى بِهِم». قالت عائشة: لخير أو لشر؟ قال: «لخيرٍ»[٢].

فخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً من خزاعة يستنصرون رسولَ الله ﷺ ويخبرونه بالذي أصابهم من قريش، فقدموا المدينة ورسولُ الله ﷺ في المسجد ورأسُ خزاعة عمرو بن سالم، فاستأذن رسولَ الله ﷺ في الإنشاد فأذن له فقال: [من الرجز]

لا هُمَّ إني ناشدٌ محمدَا
حِلْفَ أَبينا وأَبيكَ الأَتْلدا
قد كُنْتُمُ وُلْداً وكُنّا والدا
ثُمَّتَ أسلمنا ولم نَنْزعْ يدا
إن قريشاً أَخْلفوكَ المَوعِدا
ونَقَضُوا مِيثاقَكَ المؤكَّدا
فانصر هَداكَ الله نَصراً أَيِّدا
وادعُ عبادَ الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تَجرَّدا
في فيلقٍ كالبحر يجري مُزْبِدا
هم بيَّتونا بالوَتير هُجَّدا

(١) «المغازي» ٢/ ٧٨٥ ـ ٧٨٦.
(٢) «المغازي» ٢/ ٧٨٨.

فقتّلونا رُكّعا وسُجّدا
وزَعموا أنْ لستَ تدعو أحَدا
وهُم أذَلُّ وأقلُّ عَدَدا

فقام رسول الله ﷺ وهو يجر طرف ثوبه ويقول: «لا نُصرتُ إنْ لم أنصُر بني كَعبٍ بما أنصُرُ منه نَفسِي»[1]. وقال: «وكأنَّكُم بأبي سُفيانَ بن حرب وقَد جاءَ يقولُ: جدِّدِ العَهدَ وزِدْ في المدَّةِ وهو راجع بسَخَطِه».

وكان القوم لما خرجوا من المدينة تفرقوا، وسلك بديل بن أصرم الطريق في نَفَرٍ يسير، فلقيهم أبو سفيان فقال: أين كنتم؟ قال بديل: كنا في الساحل نصلح بين الناس في قتيل، قال: فهل أتيت محمداً بيثرب؟ قال: لا نعلم أنه قد كان بالمدينة. فلما ارتحل بديلُ قام أبو سفيان إلى مباركهم ففتَّ أبعار إبلهم، فوجد فيها النوى فتيقن ذلك، فقدم المدينة فدخل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إني كنتُ غائباً عن صلح الحديبية فجدِّدِ الهدنةَ وزِدْ في المدَّةِ، فقال له رسول الله ﷺ: «ولِهذا قَدِمتَ»؟ قال: نعم، قال: «فَهَل حَدَثَ منكُم حَدَثٌ»؟ قال: معاذ الله، فقال رسول الله ﷺ: «فَنَحنُ على مُدَّتِنا وصُلْحِنا يَومَ الحُديبيةِ».

فقام من عنده فدخل على ابنته أُم حبيبة رضي الله عنها فلما ذهب ليجلس على فراشِ رسول الله ﷺ طوته دونه، فقال: أرغبتِ بهذا الفراش عني، أو بي عنه؟ فقالت: بل هو فراشُ رسولِ الله ﷺ وأنت امرؤٌ مشركٌ نَجِسٌ، فقال: يا بنية، لقد أصابك بعدي شر، فقالت: هداني الله للإسلام وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يُبْصِر، واعجباً مِنْكَ يا أَبَتِ، وأنت سيد قريش وكبيرها. فقال: أفَأتْرُكُ ما كان يعبد آبائي وأتبع دين محمد، ثم قام من عندها، فلقي أبا بكر رضي الله عنه فقال له: يا ابن أبي قحافة كلِّمْ محمداً، أو تُجيرُ أنتَ بين الناس، فقال أبو بكر رضي الله عنه: جواري في جِوارِ رسول الله ﷺ.

ثم لقي عمرَ رضوانُ الله عليه فكلَّمه بمثل ما كلَّم به أبا بكر، فقال عمر: أنا أكلِّمُ رسول الله ﷺ! والله لو وجدت الذَّرَّ يُقاتلكُم لأعْنتُها عليكم، فقال أبو سفيان: جُزِيتَ من فتى رحمٍ شراً.

---

(١) «المغازي» ٢/ ٧٩٠ ـ ٧٩١.

ثم دخل على عثمان رضوان الله عليه فقال: ليس في القوم أحد أقربُ بي وأمسُّ رحماً منك، فقال: جواري في جِوار رسول الله ﷺ[١].

فدخل على فاطمة رضي الله عنها وعندها علي رضوان الله عليه والحسن والحسين رضوان الله عليهما يَدِبّانِ بين يديهما فقال لها: يا بنت محمد، أَجيري بين الناس، فقالت: أنا امرأة، فقال: قد أجارت أختك أبا العاص بن الربيع وأجاز ذلك محمدٌ، فقالت: هذا إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: مُري أحدَ ابنيك هذين أن يجير بين الناس، فقالت: هما صَبِيَّان وليس مثلُهما يُجير، فقال لعلي رضوان الله عليه: يا أبا الحسن، أجر بين الناس أو كَلِّم محمداً، فقال: ويحك يا أبا سفيان ليس أحد منا يستطيع أن يكلِّمَ رسولَ الله ﷺ فيما يكره، فقال: أشِرْ عليَّ. قال: ما أجد لك شيئاً مثل أن تقوم فتجير بين الناس، فإنك سَيِّدُ بني كنانة، قال: فهل ينفعني؟ قال: لا أظن ذلك ولكن لا أجد لك غيره[٢].

فقام وصاح: ألا إني قد أجرتُ بين الناس، فقال له رسول الله ﷺ: «أَنتَ تَقولُ هذا يا صخرُ» ثم ركب راحلته وسار نحو مكة وكانت غَيْبَتُه قد طالت واتهمته قريش وقالوا: قد صبأ واتبع محمداً وكتم إسلامه، فدخل على امرأته هِنْد ليلاً، فقالت: قد طالت غيبتك حتى اتَّهَمَكَ قومُك، فإن كنت مع طول غيبتك جئتهم بنُجحٍ فأنت الرجل، ثم دنا منها وجلس مَجلِسَ الرجلِ من امرأته فجعلت تقول: ما الخبر؟ قال: لم أجد إلا ما قالَ عليٌّ، فضربت برجلِها في صدره وقالت: قم قُبِّحْتَ من رسولِ قومٍ، فلما أصبح حلق رأسه عند إِساف ونائلة وذبح لهما ومسح بالدم رؤسهما إبراءً لما اتهمته به قريش، ثم سأله أعيان قريش عما جرى فأخبرهم، قالوا: فأجاز محمد قولك؟ قال: لا، قالوا: والله ما زاد عليّ على أن لَعِبَ بك[٣].

وقال رسولُ الله ﷺ لعائشة رضوان الله عليها: «جَهِّزينا ولا يَشعُر أَحدٌ»، فكتمت ذلك[٤].

---

(١) «المغازي» ٢/ ٧٩١ ـ ٧٩٣.

(٢) «المغازي» ٢/ ٧٩٣ ـ ٧٩٤.

(٣) «المغازي» ٢/ ٧٩٤ ـ ٧٩٥.

(٤) «المغازي» ٢/ ٧٩٦.

ولما أَجْمَعَ رسولُ الله ﷺ على المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وأعيان قريش يخبرهم الخبر، ودفع الكتاب إلى سارة مولاة المطلب ـ وقيل: اسمها كَنود من مُزينةَ ـ وجعل لها جُعْلاً على أن تبلغ الكتاب إلى قريش، فجعلته في رأسِها وفتلت عليه قُرونَها وخرجت به، فأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماء، فقال لعلي والزبير رضي الله عنهما: «أَدركا المَرأَةَ فإنَّ معها كتابَ حاطبٍ إلى الكفار بما أَزْمَعْنا عليه»، فخرجا فأدركاها بذي الحليفة، فاستنزلاها وفتَّشا رحلها وفتشاها فلم يجدا شيئاً، فقال علي رضوان الله عليه: والله لتخرجن الكتاب أو لأكْشِفَنَّكِ، فلما رأت الجدَّ حلَّت قُرونَها وأخرجته، فرجعا به إلى رسول الله ﷺ فدعا حاطباً وقال: «ما دَعاكَ إلى هذا»؟ فقال: يا رسول الله، والله إني مؤمن بالله ورسوله ما غيَّرْتُ ولا بدَّلْتُ، ولكن ليس لي في مكة عشيرةٌ وأهل، وولدي بين ظهرانيهم فصانَعْتُهم عليهم. فقال عمر رضوان الله عليه: دعني أضرب عنقه فقد نافق. فقال رسول الله ﷺ: «وما يُدريكَ يا عمرُ، لَعلَّ اللهَ اطلَعَ على أهلِ بدرٍ، فَقالَ: اعمَلُوا ما شِئتُم فقد غَفَرتُ لَكُم». وأنزل الله تعالى في حاطب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] الآية[1].

وقد أخرجا القصة في «الصحيحين» أن عبد الله بن أبي رافع سمع عليًّا يقول: بعثني رسول الله ﷺ والزبيرَ والمقدادَ فقال: «انطَلِقُوا حتى تأتوا رَوْضَةَ خاخٍ، فإنَّ بها ظَعينَةً معها كتابٌ، فخُذُوه منها». فانطلقنا إليها تَعادَى بنا خَيْلُنا حتى أتينا الرَّوضة، فإذا نحن بالظَّعينةِ، فقلنا: أخرجي الكتابَ، فقالت: ما معي كتاب، فقلت: لَتُخْرِجِنَّ الكتاب أو لتُلْقينَّ الثياب، قال: فأخرجت الكتاب من عِقاصِها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ «يا حاطِبُ، ما هذا»؟ فقال: لا تَعْجَلْ عليَّ يا رسول الله، إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان مَن معك من المهاجرين لهم قراباتٌ يَحمون أهاليهم بمكة، فأحببتُ إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً ـ أوفيهم يداً ـ يحمدون بها قرابتي، وما فعلتُ ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا

(١) «السيرة» ٢/ ٣٩٨، و«المغازي» ٢/ ٧٩٧ ـ ٧٩٨.

رضى بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ : «قد صَدَقَكُم». فقال عمر: دعني أضرب رَقَبَةَ هذا المنافق. فقال رسول الله ﷺ : «إنَّه قد شَهدَ بدراً، وما يُدرِيكَ لَعلَّ الله اطَّلَعَ على أَهلِ بَدرٍ، فقال: اعْمَلُوا ما شِئْتُم فَقَد غَفَرتُ لَكُم». متفق عليه(١).

و«روضة خاخ»: مكان قريب من المدينة.

و«العِقاص»: الخَيْط الذي يعقص به الشعرُ الملصق القريب.

قال البلاذري: ومضت سارة من فورها إلى مكة وكانت مُغَنِّيةً، فأقبلت تهجو رسول الله ﷺ وتتغنى بذلك، فأمر يوم الفتح بقتلها(٢).

وقال الثعلبي: هي سارة مولاة عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف أتت رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة بعد بدر بسَنَتين فقال لها: «أمسلمة جئت؟» قالت: لا، قال: «أفمهاجرة؟» قالت: لا، قال: «فما جاء بك؟» فقالت: أنتم الأهل والعشيرة والموالي، وقد ذهب مواليَّ واحتجت حاجة شديدة، فقدمت عليكم لتحملوني وتكسوني، فقال لها رسول الله ﷺ: «[أَينَ] أنتِ مِن شَبابِ أَهلِ مكَّةَ»؟ وكانت مغنية نائحة، فقالت: ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر. فحث رسول الله ﷺ بني عبد المطلب فكسوها وحملوها، فأتاها حاطب حليف بني أسد بني عبد العزى فكتب معها إلى أهل مكة كتاباً وأعطاها عشرة دنانير.

وقال مقاتل: أعطاها عشرة دنانير وكساها بُرْداً، وكتب معها إلى أهل مكة أن رسول الله ﷺ [يريدكم] فخُذوا حِذْركم. وخرجت تريد مكة، ونزل جبريل فأخبر رسول الله ﷺ، فأرسل علياً وعماراً وعمر والزبيرَ وطلحةَ والمقدادَ وأبا مَرْثَدٍ الغنويَّ وكانوا فرساناً وقال: «انطَلِقُوا إلى رَوضَةِ خاخ فإنَّ بها ظَعِينَةً مَعَها كِتابٌ من حاطِبٍ إلى المُشرِكينَ، فَخُذُوهُ منها وخَلُّوا سَبيلَها، وإنْ لم تَدفَعْه إليكُم فاضرِبُوا عُنُقَها». فلما وصلوا إليها سألوها فأنكرت، ففتشوها فلم يجدوا معها شيئاً فهموا بالرجوع، فقال علي: والله ما كَذَبَنا ولا كُذبنا وسلَّ سيفَه، وقال: أخرجي الكتاب و إلا ضربت

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٢) «أنساب الأشراف» ١/ ٤٢٤ ، وليس فيه: فأمر بقتلها .

عنقك، فلما رأت الجدَّ أخرجتهُ من ذوائبها قد خبأته في شعرها، فخلوا سبيلها، فرجعوا بالكتاب وذكر بمعنى ما تقدم[١].

ذِكْرُ مسير رسول الله ﷺ إلى مكة:

كتب إلى القبائل فقدم عليه إلى المدينة أَسلمُ وغِفارُ ومُزينةُ وجُهينةُ وأشجعُ، وبعث إلى بني سُليم فوافوه بقُدَيْدٍ، فأما جميع العرب فخرجوا معه من المدينة في عشرة آلاف.

قال علماء السير: وخرج يوم الأربعاء بعد العصر لعشر مضين من رمضان وهو صائم، واستخلف على المدينة أبا رُهْم كلثومَ بن حُصَين الغِفاري، وعلى الصلاة ابنَ أم مكتوم، وسار في المهاجرين والأنصار، ووافته القبائل على المياه.

قال الواقدي: لقيه العباس بن مرداس بقُدَيد في ألف من بني سليم وأنس بن عباس[٢]، وكان أنس وفد على رسول الله ﷺ المدينة في بني سُلَيْم وفيهم قيس بن نُشْبَة، فسمع كلامَ رسول الله ﷺ ورجع إلى بني سليم وقال: والله لقد سمعت تراجم الروم، وهَمْهَمةَ فارس، وكَهانة الكُهَّانِ، وقصائد العرب، فما يُشبه كلام محمد شيئاً من ذلك، فأسلموا ترشدوا، فأسلموا وكان لهم صنم وله سادن يقال له: غاوي بن عبد العزى، فدخل يوماً على الصنم فرأى ثعلبين يبولان عليه فقال:

أَربٌّ يبول الثعلبانِ برأسه ... لقد ذَلَّ من بالت عليه الثعالب

ثم شد على الصنم فكسره وجاء رسول الله ﷺ مسلماً فقال له: «ما اسمك»؟ فقال: غاوي بن عبد العزى، فقال: «أَنتَ راشدُ بنُ عبدِ رَبِّه» وحَسُنَ إسلامه، وأقطعه رسولُ الله ﷺ رُهاطاً وفيها عين يقال لها: عين الرسول، وعقد له لواءً على قومه وقال: «خَيْرُ سليمٍ راشِد» وكان يَقْدُمُ سُلَيْماً أنسُ بن عباس يوم الفتح[٣].

ولما نزل رسولُ الله ﷺ قُدَيْداً وافته القبائِلُ من الأعراب الذين حول المدينة: أَسْلَم

---

(١) انظر تفسير الثعلبي ٩/ ٢٩١، و«أسباب النزول» للواحدي ص٤٤٧ ـ ٤٤٨.

(٢) في «الطبقات»: أنس بن عياض بن رعل. وفي«الإصابة»١/ ٧٠: أنس بن عباس بن رعل، نقلاً عن «الطبقات».

(٣) انظر «الطبقات» ١/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦، ورواية البيت في كتب اللغة: «يبول الثُّعْلُبانُ»، والثُّعلُبان: ذكر الثعالب. أدب الكاتب ١/ ٢٢، وفقه اللغة ١/ ١٢٧٨.

وغِفار ومزينةُ وجهينةُ وأشجع ونحوهم، فعقَد لهم الراياتِ وفرَّقها فيهم، ولحقه عُيَينةُ ابنُ حِصن بالعرج والأقرع بن حابس بالسُّقْيا[١].

قال البلاذري: ولقيه العباس بن عبد المطلب بذي الحليفة قد أظهر إسلامه، فأمره أن يبعث بثقله إلى المدينة ويعودَ ليشهدَ فتح مكة وقال له: «يا عَمِّ، هِجرتُكَ آخِرُ هِجرَةٍ، كما أَنَّ نُبُوَّتي آخِرُ نبوَّةٍ»[٢].

وعمّى الله الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبرٌ عن رسول الله ﷺ ولا يدرون ما هو فاعِلٌ.

وقال الواقدي: نَزلَ رسولُ الله ﷺ بالعرج، ولا يعلم الناس أين يقصد إلى قريش أو إلى هوازن أو إلى ثقيف، فقال كعب بن مالك: أنا أعلم لكم علمه، فجاء فجثا بين يديه وقال: [من الوافر]

قضينا من تِهامةَ كُلَّ رَيْبٍ ... وخيبرَ ثُمَّ أَجمَمْنا السُّيوفا
نُسائِلُها ولو نَطَقت لقالَتْ ... قَواطِعُهنَّ دَوساً أو ثَقيفا
ولستُ لمالك إن لم تَرَوْها ... بساحة دارهم مِنّا ألوفا
ونَنتَزِعُ الخيام ببطن وَجٍّ ... ونَترِكُ دارَهم منهم خُلُوفا

فتبسم رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً، فلما نزل مَرَّ الظهران تيقنوا أنه قاصدٌ مكَّةَ[٣].

وعن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح في رمضان، فصام حتى بلغ الكَدِيدَ ثم أفطر[٤].

قال الزهري: وكان الفِطْر آخر الأمرين من رسول الله ﷺ وإنما يؤخذ من أمر رسول الله ﷺ بالآخِر فالآخِر. أخرجه مسلم[٥].

وقال ابن عباس: خرج رسول الله ﷺ إلى مكة فصام حتى بلغ عُسْفان، ثم دعا بماءٍ

(١) انظر «تاريخ الطبري» ٣/ ٥١ ـ ٥٢ .
(٢) «أنساب الأشراف» ١/ ٤٢٥ .
(٣) «المغازي» ٢/ ٨٠٢ .
(٤) أخرجه البخاري (١٩٤٤)، ومسلم (١١١٣).
(٥) مسلم ٢/ ٧٨٥ .

فرفعه على يده ليريه الناس فأفطر حتى قدم مكة، وذلك في رمضان، وكان ابن عباس يقول: قد صام رسول الله ﷺ وأفطر، فمن شاء صام ومن شاء أفطر[١].

وأخرجه الحميدي وفيه: خرج رسولُ الله ﷺ من المدينة في عشرة آلاف وذلك على رأس ثماني سنين ونصف من هجرته أو من مقدمه المدينة، فسار بمن معه من المسلمين إلى مكة يصوم ويصومون حتى بلغ الكَديد، وهو ما بين عُسْفانَ وقُدَيْد أفطر وأفطروا، فلم يزل مفطراً حتى انسلخ الشهر فصبَّح رسول الله ﷺ مكة لثلاث عشرة مضت من رمضان[٢].

ولمسلم: عن جابر قال: لما بلغ رسول الله ﷺ كُراعَ الغَميم وصام الناس، قيل له: قد شق على الناس، فدعا بقدح من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون إليه، فأفطر بعضهم وصام البعض، وبلغ رسول الله ﷺ فقال: «أُولئكَ العُصاةُ»[٣].

قال الواقدي: ولما كانتِ الليلةُ التي نزل بها رسول الله ﷺ مَرَّ الظهران خرج أبو سفيان بن حرب وحكيمُ بن حزام وبُدَيْلُ بن ورقاء الخزاعي ـ وكان نازلاً بمكة ـ يتجسَّسون الأخبار، فقال العباس رضي الله عنه: واسوءَ صباحاه، والله لئن بَغَت ابن أخي قريشاً في دارها ودخل مكة عَنْوَةً إنه لَهلاكُ [قريشٍ] آخرَ الدهر، قال: فجلست على بغلةِ رسول الله ﷺ البيضاء وقلت: أَخْرُجُ إلى الأَراك لعلي أرى حطَّاباً أو صاحبَ لبن يدخل مكة فيخبرهم بمكانِ رسول الله ﷺ فيأتونه فيأخذون منه أماناً.

قال العباس: فوالله إني لأطوف في الأَراك إذ سمعت صوتَ أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، وأبو سفيان يقول: والله ما رأيت نيراناً مثل هذه، فقال بُدَيْلٌ: هذه نيرانُ خُزاعةَ، وكانوا قد أوقدوا في تلك الليلة عشرة آلاف نار، فقال أبو سفيان: خزاعة أقلُّ من ذلك وأذلُّ، قال العباس: فناديته: أبا سفيان، فَعرف صوتي فقال: أبو الفضل؟ قلت: نعم، فقال: لبيك، فداك أبي وأمي ما وراءك؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ قد دَلَفَ إليكم في عشرةِ آلافٍ من المسلمين ولا قِبَلَ لكم به، وقلت: اركب على

(١) أخرجه البخاري (١٩٤٨)، ومسلم بعد (١١١٣).

(٢) «الجمع بين الصحيحين» (٩٧٨)، وأخرجه البخاري (٤٢٧٥) و (٤٢٧٦).

(٣) مسلم (١١١٤).

عَجُزِ هذه البغلة فأستأمنُ لك رسول الله ﷺ فوالله لئن ظَفِرَ بك لَيَضْرِبَنَّ عُنقَكَ، قال: فَرَدِفَني فخرجت أَركضُ البَغْلةَ، فكلّما مررت بنارٍ قالوا: هذا عمُّ رسول الله ﷺ على بغلته، حتى مررتُ بنارِ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما رأى أبا سفيان عرفه فقال: الحمد لله الذي أمكن منك يا عدوَّ الله بغير عقد ولا عهد، ثم اشتد نَحو رسولِ الله ﷺ وركَضْتُ البغلةَ حتى اقتحمت باب القبة فسبقته، ثم جاء فقال: يا رسولَ الله، هذا عدوُّ الله ابنُ حرب قد أمكن الله منه فدعني أَضْرب عنقه، قال: فقلت: فإني قد أجرته فلا سبيل عليه، فأكثر عمر القول، فقلت: يا ابن الخطاب والله ما تَفْعَلُ هذا إلا لأنه رجل من بني عبد مناف، ولو كان رجلاً من بني عدي بن كعب ما قلت هذا، فقال: مهلاً ياعباس، فوالله إن إسلامَك يومَ أسلمتَ كان أحبَّ إلي من إسلام الخطَّابِ لو أسلم، لأن إسلامَك سرَّ رسولَ الله ﷺ [فقال رسول الله ﷺ] «قد أجرنا من أجرتَ وأمنّا من أمنتَ فاذهب به حيثُ شئت، حتى تغْدوَ به عليَّ الغَداة»، قال: فذهبتُ به إلى منزلي ثم عدتُ به على رسول الله ﷺ فقال له: «ويحَكَ يا أبا سُفيانَ، ألم يأْنِ لكَ أن تَعلَمَ أنّي رسولُ الله» فقال: بأبي أنت وأمي ما أوصلك وأحلمك وأكرمك،أما هذه ففي النفس منها شيء، فقال له العباس: ويحك أسلم وإلا قتلك، فأَسْلَمَ[1].

وروي أنه قال له رسول الله ﷺ: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟» فقال: بلى بأبي أنت وأمي، قد كان يقع في نفسي أن لو كان مع الله إله لأغنى عنا شيئاً. ثم أسلم.

ثم قال رسول الله ﷺ: يا عم، اذهب به فاحبسه عند خَطْم الجبل بمضيق الوادي حتى يمرَّ عليه جندُ الله، قال العباس: فقلت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجلٌ يُحِبُّ الفَخْرَ فاجعل له شيئاً يكون له فخراً له في قومه، فقال: « مَن دَخلَ دارَ أَبي سُفيانَ فهو آمِنٌ، ومَن أَغلَقَ بابَه فهو آمِنٌ». ومضيت به إلى خَطْمِ الجبل وجعلتِ القبائلُ تمر به فيقول: من هؤلاء؟ فأقول سُلَيم، فيقول: مالي ولسُلَيْم، ويمر بجُهَيْنةَ فيقول: من هذه؟ فأقول جهينة، فيقول: مالي ولجهينة، كذلك حتى أقبل موكبُ رسولِ الله ﷺ والكتيبةُ الخضراءُ وفيها رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار في الحديد لايُرى منهم إلا الحَدَقُ

(١) «المغازي» ٢/٨١٦ ـ ٨١٨ .

فقال: من هؤلاء؟ قلت: كتيبة رسول الله ﷺ فقال: لقد أوتي ابن أخيك ملكاً عظيماً، فقلت: ويحك إنما هو النبوة، فقال: نعم، فقلت: اِلحقْ بقومك فحذِّرهم، فذهب سريعاً حتى دخل المسجد فصرخ بأعلى صوته: يا معاشر قريش، هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبَلَ لكم به، قالوا: وما ترى؟ قال: من دخل داري فهو آمن، قالوا: ويحك فما تُغني عنا دارك؟ قال: من دخل المسجد أو أغلق بابه فهو آمن، ثم جاء ليدخل داره فقالت له هند: وراءك قبحك الله، فإنك شرُّ وافدٍ[1].

فإن قيل: فلم خص رسول الله ﷺ دار أبي سفيان؟ قلنا: لوجهين:

أحدهما: لما ذكر العباس.

والثاني: لأن النبي ﷺ كان إذا أوذي بمكة ونالت قريش منه دخل دار أبي سفيان فأَمِنَ[2]. قال الزهري: فأراد رسول الله ﷺ مكافأته على ذلك وحَقْنَ دمِه، لأن قلوب أصحابه رضي الله عنهم كانت حَرَّى عليه.

وحكى الطبري في إسلام أبي سفيان وجهاً آخر:

عن ابن عباس قال: لقي أبو سفيان بن حرب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة رسول الله ﷺ بنيق العُقاب بين مكة والمدينة، فحجبهما، فقالت أم سلمة: يا رسول الله، ابنُ عمك وصِهْرُكَ، تشير إلى أبي سفيان وأخيها عبد الله، فقال: «لا حاجة لي بهما بعدما قالا وفعلا» فخرج الخبر إليهما، وكان مع أبي سفيان ولدٌ له صغير فقال: والله لتأذنن لي أو لآخذن بيد ابني هذا ثم لنذهبنَّ في الأرض حتى نموت جُوعاً وعطشاً، فأذن لهما بعدما رقَّ لهما، فلما دخلا عليه أسلما، وقال أبو سفيان أبياتاً في مدح رسول الله ﷺ منها:

وهادٍ هداني غير نفسي ونالني ... مع الله من طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَرَّدِ

فضرب رسول الله ﷺ بيده في صدر أبي سفيان وقال: «أنت فعلت هذا»[3].

---

(١) «المغازي» ٢/ ٨٢٢ ـ ٨٢٣ .

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٦/ ٩ ـ ١٠ من حديث ثابت البناني مرسلاً .

(٣) «تاريخ الطبري» ٣/ ٥٠ ـ ٥١ ، وانظر «السير» ٢/ ٤٠٠ ـ ٤٠١ ، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢٨٧ ، وهذه القصة وردت في جميع المصادر عن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، لا ابن حرب كما عند المصنف .

قال المصنف رحمه الله: وهذه رواية شاذة.

وقد أخرج الحميدي من أفراد البخاري حديثاً: عن [هشام بن] عروة بن الزبير، عن أبيه قال: لما سار رسولُ الله ﷺ إلى مكَّةَ عامَ الفتح وبلغ ذلك قريشاً، خرج أبو سفيان وحكيمُ بن حزام وبُدَيْلُ بن ورقاء يتحسسون الخبر عن رسول الله ﷺ، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مَرَّ الظهران، فإذا هم بنيرانٍ كأنها نيرانُ عَرَفَةَ، فقال أبو سفيان: ما هذه؟ لكأنَّها نيرانُ عرفة، فقال بديلُ بن وَرْقاء: هذه نيران بني عمرو بن عوف، يعني الأنصار، فقال أبو سفيان: هم أقلُّ من هذا، فرآهم ناس من حرسِ رسولِ الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم، فأتَوْا بهم رسولَ الله ﷺ فأسلم أبو سفيان، فلما سارَ رسولُ الله ﷺ قال للعباس: «احتَبِسْ أَبا سُفيانَ عندَ خَطْمِ الجبَلِ حتى يَنظُرَ إلى المُسلمِينَ» فحبسه العباس، فجعلت القبائل تمرُّ عليه كتيبةً كتيبةً، فمرت كتيبة فقال للعباس: من هذه؟ قال: غِفار، فقال: مالي ولغِفار، ثم مرت جُهينة وبنو سليم وسعد بن هُذَيْم وهو يقول كذلك، حتى أقبلت كتيبةٌ لم يَرَ مثلَها قال: من هذه؟ قال: الأنْصار عليهم سعد بن عبادة بيده الرايةُ، فلما رأى سعدٌ أبا سفيان قال له: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستَحلُّ الكعبة ـ والملحمة: الحربُ ـ فقال أبو سفيان: يا عباس حبذا يوم الذِّمار ـ بذال معجمة ـ يوم يحمي الإنسان أهله، كأنه تمنى ذلك، ثم جاءت كتيبة وهي أجلُّ الكتائب فيهم رسولُ الله ﷺ والمهاجرون ورايته بيد الزبير بن العوام، فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال له: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ قال: ما قال؟ قال: كذا وكذا، قال: «كَذَبَ سَعدٌ، ولكِنْ هَذا يَومٌ يُعظِّمُ اللهُ فيه الكَعْبةَ».

وأمر رسول الله ﷺ أن تُركَزَ رايتُه بالحَجون، وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد أن يدخل مكة من أعلاها من كَداء، ودخل رسول الله ﷺ من كُدًى، فَقُتِلَ من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجلان: حُبَيشُ بنُ الأَشعر وكُرْزُ بنُ جابر الفِهْري. انفرد بإخراجه البخاري[1].

وقال نافع بن جبير: سمعت العباس يقول للزبير بن العوام لما رَكَزَ رايته بالحَجون: يا أبا عبد الله أههنا أَمَرَكَ رسول الله ﷺ أن تركُزَ الرايةَ؟ قال: نعم[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٨٠)، والحميدي في «الجمع بين الصحيحين» ٣/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٧٦).

وفي رواية الواقدي: أَنَّ سعداً نادى أبا سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذلَّ الله قريشاً، فقال رسول الله ﷺ: «اليومَ يومُ الرَّحمة، اليوم أَعزَّ اللهُ قُريشاً»[١].

و«كَدَاءُ»: بالمد وفتح الكاف: موضع بأعلى مكة. و«كُدَى» بضم الكاف والقَصر: موضع بأرضٍ أسفَلَ مكة. قال ابن إسحاق: قال رسولُ الله ﷺ للزبير رضي الله عنه: أقم هنا عند الحَجون بالراية ولا تبرحْ مكانك حتى آتيك، وكان في طريق خالد بنو بكر بن عبد مناف والأحابيش، كانت قريش قد استنفرتهم فمنعوا خالداً من الدُّخُول فقاتَلهم فانهزموا، وكان رسولُ الله ﷺ قد أوصى خالداً والزبير رضوان الله عليهما وقال لهما: «لا تقاتلا إلَّا من قاتلكما».

وقال الواقدي: أمر رسولُ الله ﷺ الزبيرَ أن يدخل من كَداء وسعد بن عبادة من كُدى، ولما عزم سعدٌ على الدخول سمعه رجل من المهاجرين يقول: اليوم يوم الملحمة وتُسْتَحلُّ الحرمة، فقال: يا رسول الله لا نأمن أن يكون لسعد في قريشٍ اليومَ صَوْلَةٌ؛ إنه يقولُ كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «أَدْرِكْه فخذِ الرَّاية منه وادخُلْ بها ولا تُقاتِلْ أَحَداً إلَّا أَن يُقاتلَكَ»، ولما قال سعد ما قال شق ذلك على قريش، فعارضت امرأة رسول الله ﷺ وقالت[٢]: [من الخفيف]

يا نَبيَّ الهدى إليك لجا حيْـ ... ـيُ قُريشٍ ولاتَ حينَ لَجاءِ
حين ضاقَتْ عليهمُ سعةُ الأَر ... ضِ وعادَاهم إله السماءِ
إنَّ سعداً يُريدُ قاصمة الظهـ ... ـرِ بأهل الحجونِ والبطحاءِ
خَزْرجيٌّ لو يستطيعُ من الغيـ ... ـظِ رمانا بأَنْجُمِ العوَّاءِ
فانهينه فإنه الأَسد الأسوَ ... دُ واللَّيثُ والغُّ في الدماءِ
فلئن أقحم اللواءَ ونادى ... يا حماةَ اللواءِ يوم اللقاءِ
لتكونَنَّ بالبقاعِ قُريشٌ ... نهبةَ القاعِ في أكفِّ الإماءِ
إنه مصلتٌ يديرُ لها الرأ ... يَ صَموتٌ كالحيَّةِ الرَّقطاءِ

(١) «المغازي» ٢/ ٨٢١ ـ ٨٢٢ .

(٢) انظر «السيرة الشامية» ٥/ ٣٣٥ ، وقد وقع اضطراب في أوراق النسخ أعدنا ترتيبها .

وَغِـرُ الـصـدر لا يَـهـمُّ بـشـيءٍ غـيـر سـفـكِ الـدمـا وسـبـي الـنـسـاءِ

وقيل: إن الشعر لضرار بن الخطاب الفهري.

وروى ابن إسحاق عن أم هانئ أنها جاءت إلى فاطمة فقالت: ألا تعذريني من زوجك، استجار بي رجلان من أحمائي من بني مخزوم فزعَمَ زوجُكِ أنه يقتلُهما، فقالت فاطمة: ومالك والمشركين تجيريهم علينا، فوجَدَتْها أشدَّ من زوجها، فأتت رسول الله ﷺ فأجارهما[١].

وقال الواقدي: دخل الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة على أم هانئ يومَ الفتح فاستجارا بها، فدخل عليها أخوها علي رضي الله عنه فلما رآهما شَهَرَ السَّيْفَ عليهِما، فقامت إليه أم هانئ فاعتَنَقَتْهُ وقالت: أتصنع بي هذا من بين سائر الناس لتبدأَنَّ بي قبلهما، فقال: أتجيرين المشركين؟! وخرج.

قالت: فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فأخبرته فقال: «قد أَجَرنا مَنْ أَجَرْتِ وأَمَّنَّا مَن أَمَّنْتِ» فرجعت إليهما فأخبرتهما فرجعا إلى منازلهما، فقيل لرسول الله ﷺ: هما جالسان في ناديهما، فقال: «لا سَبيلَ عليهما قَد أَمَّنَّاهُما»، ثم قال الحارث: فاستحييتُ من رسول الله ﷺ أن أراه وقد قاتلته في كل موطن، ثم أذكر بِرَّه وصِلَته فجئته مسلماً فقال: «الحمدُ لله الذي هَداكَ للإسلَامِ»[٢].

وقال الواقدي: مرَّ رسول الله ﷺ يوم الفتح وهو على ناقته وعلى رأسه المِغْفَرُ وأبو بكر رضي الله عنه إلى جانبه، فرأى بنات سعيد قد نشرن شُعورَهُنَّ وهُنَّ يَلْطمن وجوهَ الخيل بخُمُرِهِنَّ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال لأبي بكر رضوان الله عليه: أنشدني قول حسان فأنشد[٣]: [من الوافر]

تـظـلُّ جـيـادُنـا مُـتَـمـطِّـراتٍ يُـلَـطِّـمُـهُـنَّ بـالـخُـمُـرِ الـنِّـسـاءُ

واختلفوا إلى من دفع رسول الله ﷺ الراية على ثلاثة أقوال:

---

(١) «السيرة» ٢/ ٤١١.

(٢) «الطبقات» ٦/ ٨٣ ـ ٨٤.

(٣) «المغازي» ٢/ ٨٣١.

أحدها: إلى علي رضوان الله عليه وقد ذكرناه.

والثاني: إلى الزبير رضي الله عنه.

والثالث: إلى قيس بن سعد بن عبادة.

قال ابن الكلبي: قال رسول الله ﷺ لقيس: «اذهب إلى أبيك فخذ منه الراية» فجاء قيس إلى أبيه فقال: ادفع إليّ الراية فامتنع وقال: لا أسلمها إلَّا بأمارة، فعاد قيس إلى رسول الله ﷺ فأخبره فدفع إليه عمامته فعرفها سعد فدفع إليه الراية[1]. قال الكلبي: فأحب رسول الله أن لا يخيب قصد المرأة ولا يشق على سعد فدفع الراية إلى ابنه.

وقال الواقدي: أمر رسول الله ﷺ خالداً أن يدخل من الليط أَسفل [مكة وفيها أسلم وسليم][2] وغفار وجهينة ومزينة، وكان خالد على المجنِّبة اليُمنى، والزبير رضي الله عنه على اليسرى، ودخل رسول الله ﷺ من أَذاخِرَ فنزل بأعلى مكة وضربت له قبة هناك.

وكان صفوان بن أمية، وعكرمةُ بن أبي جهل، وسُهيل بن عمرو، وأوباش قريش والعبيدُ قد اجتمعوا بالخَنْدَمَة ليُقاتلوا رسول الله ﷺ وكان خالد في مقابلتهم فانهزموا، وكان حِماسُ بن قيس بن خالد البكري قَبْلَ مَقْدَمِ رسولِ الله ﷺ يَريشُ نَبْلاً له ويُصْلِحُه، فقالت له امرأته: لمن تصنع هذا؟ فقال: لمحمد وأصحابه، فقالت: والله ما أرى شيئاً يقوم لِمُحمدٍ، فقال: والله إني لأرجو أن أُخْدِمَكِ بعض أصحابه، ثم قال:

إن يُقبلوا اليوم فمالي عِلّهْ هذا سلاح كاملٌ وأَلَّهْ

ثم شهد الخندمة، وأقبل منهزماً حتى أتى بيته، فدخل فقالت له زوجته: أين الخادم الذي وعدتني به ما زلت منتظرتك منذ اليوم؟ فقال: دعي عنك هذا، أَغْلقي بابي فمن أغلق بابه فهو آمن، فقالت: ويحك، أَلم أَنْهَكَ عن قتالِ محمدٍ؟ فقال: [من الرجز]

إنك لو شهدتِ يوم الخَندمهْ
إذ فَرَّ صَفْوان وفَرَّ عِكْرِمهْ
وأبو يزيد قائمٌ كالمومَتَمَهْ

(١) انظر «المغازي» ٢/ ٨٢٢.

(٢) ما بين معقوفين زيادة لإيضاح النص، انظر «السيرة» ٢/ ٤٠٧، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٥٧.

واستقبلتهم بالسيوفِ المسلمهْ
يَقْطَعْنَ كلَّ ساعدٍ وجُمجمهْ
ضرباً فلا تَسْمَعُ إلا غمغمَهْ[1]
لهم نَهِيتٌ خلفنا وهَمْهَمَهْ
لم تنطقي في اللوم أدنى كلمهْ[2]

قال هشام: دَخل رسول الله ﷺ يوم الفتح، وأُسَيد بن حُضير رضوان الله عليه في كتيبته الخضراء، على ناقته القصواء، وكان نهى عن القتال، فرأى بارقة السيوف فأرسل إلى خالدٍ وقال: أَلم أنْهَكَ عن السيفِ؟ فقال: ما وقع في أُذني إلَّا ضَعِ السيفَ، إنهم قاتلوني فقاتلتهم، فقال رسول الله ﷺ: أَمر الله خيرٌ.

قال الواقدي: قُتِل من المشركين بالخَنْدَمةِ أَربعةٌ وعشرون من قريش، وأَربعةٌ من هُذَيْل، واستُشهد من المسلمين ثلاثةٌ: كُرْزُ بن جابر بن حُسَيْل أَبو عبد الرحمن الفِهري، وأُمه أسماء بنت مالك فِهريَّةٌ، وهو من الطبقة الثالثةِ من المهاجرين، وهو الذي أَغار على سَرْحِ المدينةِ وأَخذ لقاح رسول الله ﷺ في السنة الثانيةِ من الهجرة، ثم منَّ الله عليه بالإسلام في السَّنةِ الثانية أيضاً، وشهدَ الحديبيةَ وخيبر[3].

وعن أبي هريرة قال: أَقبل رسولُ الله ﷺ يوم الفتح فدخل مكَّةَ، وبعث الزبير على إحدى المجنِّبتين، وبعث خالداً على المجنِّبةِ الأُخرى، وبعثَ أَبا عبيدةَ على الحُسَّرِ، فأَخذوا بطن الوادي، ورسولُ الله ﷺ في كتيبةٍ، وقد وبَّشَت قريشٌ أَوباشَها وقالوا: نُقَدِّمُ هؤلاءِ، فإن كان لهم شيءٌ، كُنّا معهم وإِن أُصيبوا، أَعطينا الذي سُئِلنا.

قال أبو هريرة: ففطن رسول الله ﷺ فقال لي: «اهتِفْ بالأَنصارِ» فهتفتُ بهم فجاءوا فأَطافوا برسول الله ﷺ فقال: «أَلا تَرَوْنَ إِلى أَوْباشِ قُريشٍ وأَتْباعهم»؟ ثم قال

(١) الغمغمة: أصوات الأبطال في الحرب.

(٢) النهيت: صوت في الصدر. والهمهمة: صوت في الصدر أيضاً. وانظر الخبر في «المغازي» ٢/ ٨٢٧، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٥٧ ـ ٥٨، وانظر «السيرة» ٢/ ٤٠٨.

(٣) انظر «الطبقات» ٥/ ٩٧ ـ ٩٨. وعند الواقدي في «المغازي» ٢/ ٨٢٨: أنهما رجلان، والثاني هو: خالد الأشعر، ويقال: حبيش بن خالد الأشعر. انظر «الطبقات» ٥/ ١٩٧ ـ ١٩٨.

بيدَيْهِ إحداهما على الأخرى «احصُدُوهم حَصداً حتى تُوافوني بالصَّفا» قال: فانطلقنا فما يشاء أَحد منّا أن يقتل منهم من شاء إلا قتله، وما أَحد منهم يُوجِّه إلينا شيئاً، فجاء أبو سفيان فقال: أُبيدَتْ أَو أُبيحت خَضراءُ قريش، لا قُريشَ بعد اليوم، فقال رسول الله ﷺ: «مَن أَغلَقَ بابَه فَهو آمِنٌ، ومَن دَخَل دارَ أَبي سُفيانَ فهو آمِنٌ» فغلق الناسُ أبوابهم، وأَقبل الناس إلى دار أبي سفيان، وأقبل رسول الله ﷺ [إلى] الحِجْرِ وطاف بالبيتِ وفي يده قوسٌ قد أَخَذَ بِسِيَتِهِ، فأَتى في طوافه على صنم إلى جانب البيتِ يعبدونه، فجعل يطعن بها في عينه ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١] ثم أتى الصفا فعلاه حيثُ ينظر إلى البيت ورفع يديه، وجعل يذكر الله بما شاء أَن يذكره ويدعوه [والأنصار تحته، قال] يقول بعضهم: أَما الرجلُ فقد أدركَتْه رغبةٌ في قرابته، ورأفةٌ بعشيرته، وجاءه الوحي، وكان إذا جاء لم يرفع أَحدٌ منا طَرْفَه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضي. فلما قضى رفع رأسه وقال: «يا معاشرَ الأَنصارِ، أَقُلتُم كَذا وكَذا»؟ فقالوا: نعم، فقال: «كَلاَّ، ما اسمي إذاً، إنِّي عبد الله ورسولُه، هاجرتُ إلى الله وإليكم، فالمَحْيا مَحياكُم، والمَماتُ مماتُكُم»، فأقبلوا يبكون ويقولون: والله ماقُلنا إلا ضِنًّا بالله ورسوله، فقال: «إنَّ اللهَ ورَسُولَهُ يُصدِّقانِكُم». انفرد بإخراجه مسلم(١).

وعن عبد الله بن مسعود قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحولَ الكعبة ثلاث مئةٍ وستون صنماً، فجعل يطعنُها بعودٍ في يده ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]. أَخرجاه في «الصحيحين»(٢).

وقال هشام: ما دخل رسول الله ﷺ مكَّة إلا محرماً، إلَّا في يوم الفتح فإنه دخلها وعليه السلاح. ولما استقر في المسجد طافَ وسعى وجلس في ناحية المسجد.

وعن أَبي هريرة قال: دخل رسول الله ﷺ يومَ الفتح مكّةَ وعليه عمامةٌ سوداء ورايتُه سوداء ولواؤه أسود(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٠)، وأحمد في «مسنده» (١٠٩٤٨)، وما بين معقوفين منه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٧٨)، ومسلم (١٧٨١).

(٣) أورده الواقدي في المغازي ٢/ ٨٢٤. وأخرج مسلم (١٣٥٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام.

قال الواقدي: والتفت رسول الله ﷺ إلى بَعْضِ الأَنصارِ فقال له: كيف قال حسان ابن ثابت؟ فأنشده: [من الوافر]

عَدِمنا خَيْلَنا إن لم تَرَوْها ... تُثير النَّقْع من طرفي كَداءِ[1]

وهو إقواء من أبياتٍ أَوَّلُها:

عَفَت ذاتُ الأَصابعِ فالجِواءُ ... إلى عَذْراءَ منزلُها خَلاءُ
كأنَّ سلافةً من بيتِ رأسٍ ... يكونُ مِزاجَها عسلٌ وماءُ
ونَشربُها فَتَتركُنا ملوكاً ... وأُسْداً ما يُنَهْنِهُنا اللِّقاءُ
عَدِمنا خَيلنا إن لم تَروْها ... تَسيلُ بها كُديٌّ أَو كَداءُ
يُنازِعْنَ الأعنَّةَ مُصغياتٍ ... على أكتافها الأَسَلُ الظِّماءُ
تظلُّ جيادُنا متمطِّراتٍ ... يُلَطِّمُهُنَّ بالخُمُرِ النساءُ
فإمَّا تُعْرِضُوا عنا اعْتَمرنا ... وكانَ الفَتْحُ وانكشَفَ الغِطاءُ
وإلَّا فاصبروا لِجلادِ يَومٍ ... يُعينُ اللهُ فيه مَنْ يشاءُ
وجبريلٌ رسولُ الله فينا ... وروحُ القُدْسِ ليس له كِفاءُ
لنا في كلِّ يومٍ من مَعَدٍّ ... قِتالٌ أو سِبابٌ أو هِجاءُ
هَجَوْتَ محمَّداً فأَجَبْتُ عنه ... وعِنْدَ اللهِ في ذاكَ الجزاءُ
أتذكرُهُ ولستَ له بكُفءٍ ... فشرُّكُما لخيرِكُما الفِداءُ
ومَنْ يَهجو رَسولَ اللهِ مِنكم ... ويَمدَحُهُ ويَنصُرُه سَواءُ
فإنَّ أبي ووالدتي وعِرْضي ... لِعرضِ محمد منكم فِداءُ

وعن أبيّ بن كعب قال: لما كانَ يومُ أُحُدٍ قُتِل من الأَنْصار ستّون رجلاً وستّةٌ من المهاجرين، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: إن كان لنا يومٌ مثلُ هذا من المشركين لنُرْبِيَنَّ عليهم، فلما كان يوم الفتح قال رجل لا يُعْرَفُ: لا قُريشَ بعد اليوم، فنادى منادي رسول الله ﷺ: أمِنَ الأسودُ والأبيضُ إلَّا فلاناً وفلاناً، ناسٌ سمّاهم رسول الله

(١) «المغازي» ٢/ ٨٢٥. ورواية «السيرة» ٢/ ٤٢٢:

عدمنا خيلنا إن لم تروها ... تثير النقع موعدها كداءُ

وعليه فلا إقواء.

ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦] الآية، فقال رسول الله ﷺ: «نَصبِرُ ولا نُعاقِبُ»(١).

وقال الإمام أحمد رحمة الله عليه: حدثنا يحيى، عن حسين المعلِّم، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لما فُتِحت مكَّةُ على رسولِ الله ﷺ قال: «كُفُّوا السِّلاحَ، إلا خُزاعةَ عن بَني بَكْرٍ» فأذِنَ لهم رسولُ الله ﷺ في ذلك حتى صلى العصر، ثم قال: «كُفُّوا السِّلاح» فلقي رجل من خزاعة رجلاً من بني بكر عِنْدَ المُزْدَلِفة فقتله، وبلغ رسولَ الله ﷺ فقام خطيباً مُسْنِداً ظهرَهُ إلى الكعبة فقال: «إنَّ أَعدَى النَّاسِ على الله مَن قَتَل في الحَرَمِ، أو قَتَلَ غَيرَ قاتِلِه، أو قَتَلَ بذُحُولِ الجاهليَّةِ»(٢).

وقال الحارث بن البرصاء: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول يوم الفتح: «لا تُغزى قريش بعد هذا اليومِ إلى يوم القيامة» يعني على: كفر(٣).

ذكر حديث أَخْذِ المفتاح:

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: لما دخلَ النبيُّ ﷺ يومَ الفَتْحِ إلى مكة بعث إلى أم عُثمان بن طلحة أَنِ: «ابعثِي إلينا مِفتاحَ البَيتِ» قالت: لا واللات والعزى لا أبعث به إليه، فأراد رسول الله ﷺ أن يَبعث إليها من يأخذه منها قَهْراً، فقال ابنها عثمانُ: يا رسول الله، إنها حديثة عهد بكفر فابعثني إليها، فقال له: «اذهب» فجاءها فقال: يا أماه، قد حدث أمر غير الذي كان، فإن لم تَدْفعي المِفتاحَ قُتِلْتُ أنا وأخي، فدفعته إليه، فجاء به مسرعاً، فلما دنا من رسول اللهﷺ عثر فَوقَع المفتاحُ من يده، فقام رسولُ الله ﷺ فحنا عليه وفتح الباب ودخل، فَقام عند أركان البيت وأرجائِه يدعو، ثم صلى ركعتين بين الأسطوانتين ثم خرج، فقام على الباب، فتطاول إليه العباس رجاء أن يجمع له بين السقاية والحِجابة، فقال: «يا عُثمانُ، خذ ما أعطاكم الله، خذوها خالدةً

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢١٢٢٩). قوله: «لنربين» أي: لنزيدن على ما قتلوا منا.

(٢) أحمد في «مسنده» (٦٦٨١). والذَّحْل: الثأر.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٤٠٤).

تالدةً لا يَنْزِعُها عنكم إلا ظالم»[(١)].

وفي «زاد المسير»: عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ طلب مفتاحَ البيت يوم الفتح من عُثمان بن طلحة، فذهب عثمان ليعطيه إياه فقال له العباس: بأبي أنت وأمي اجمعه لي مع السقاية، فكفَّ عثمانُ يده مخافة أن يُعْطِيَهُ للعباس، فقال النبي ﷺ: «يا عُثمانُ، هاتِ المفتاحَ» فأعاد العباس قوله، وكف عثمانُ يدَه، فقال رسول الله ﷺ: «هاتِ المفتاحَ إنْ كُنتَ تُؤمنُ بالله واليومِ الآخِرِ» فقال: هاكه يا رسول الله بأمانة الله، ففتح البيت ودخل فنزل جبريل بهذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[(٢)] [النساء: ٥٨].

قال العلماء: هذه الآية وإن نزلت على سبب فهي عامة في الودائع وغيرها من الأمانات.

وقال الواقدي: أمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يمضي إلى عُثمان بن طلحة ويأتيه بالمفتاح، فجاء بلال إليه وقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تأتي بمفتاح الكعبة ـ [ومفتاح الكعبة] يومئذ عند أمه وهي بنت شُهَيْد ـ فقال لها عُثمان: يا أماه إن رسول الله ﷺ قد أرسل يطلب المفتاح، فقالت له: أعيذك بالله أن تكون الذي يذهب بمأثُرةِ قومِه، فقال: لتدفعنَّه إلي أو ليأتينك غيري فيأخذه منك، فأدخلته في حُجْزَتها وقالت: أي رجل يدخل يده هاهنا؟، فبينما هما على ذلك إذ سمع صوت أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما في الدار وعمر يقول: اخرج يا عُثمان، فقالت أمه: يا بنيَّ خُذْهُ أنت أحب إلي من أن يأخذه غيرك، فأتى به رسولَ الله ﷺ فناوله إياه... وذكر الحديث[(٣)].

قال الواقدي: وقد سمعت في المفتاح وجهاً آخر عن ابن عمر رضي الله عنه قال: أقبل رسول الله ﷺ [يوم الفتح على بعير لأسامة بن زيد، وأسامة رديف رسول الله ﷺ ومعه

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٨٠٥٥)، وأخرج عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٠٧٣) من حديث الزهري بنحوه. وأخرج الطبراني (١١٢٣٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم» وانظر «السيرة الشامية» ٥/ ٣٥٧ .

(٢) «زاد المسير» ٢/ ١١٤ .

(٣) «المغازي» ٢/ ٨٣٣، والحُجْزَةُ: مَعقدُ السراويل والإزار. اللسان (حجز).

بلال وعثمان بن طلحة، فلما بلغا رأس الثنية أرسل عثمان فجاءه بالمفتاح فاستقبله به، قالوا: وكان عثمان قدم على رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص مسلماً قبل الفتح، فخرج معنا من المدينة[١].

وقال الواقدي: وكان رسول الله ﷺ قد قبض السقاية من العباس وقبض المفتاح من عثمان، فلما جلس قال: «ادعوا إليَّ عثمان» فدعي له عثمان بن طلحة، وكان رسول الله ﷺ] قد قال لعثمان بن طلحة يوماً بمكة وهو يدعوه إلى الإسلام والمفتاح بيد عُثمان: «لعلَّكَ يا عثمانُ ترى هذا المفتاح بيَدِي أَضَعه حيثُ شِئتُ»، فقال له عثمان: لقد هَلكَت قُريشٌ وذلَّت، فقال رسول الله ﷺ: «بَل عَمَرَتْ وعَزَّت». فلما دفع إليه المفتاح وولى ناداه رسول الله ﷺ فقال له: «يا عُثمان، أَتَذكُر يَومَ كَذا وكَذا؟» فذكر عثمان فقال: أشهد أنك رسول الله[٢].

وعن ابن عباس قال: خطب رسول الله ﷺ يوم الفتح فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ثم قال: «أَيُّها الناسُ، إنَّكم مِن آدَمَ وآدَمُ من التُّرابِ» ثم قرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾[الحجرات: ١٣] ثم قال: «يا مَعاشِرَ قُريشٍ، ماذا تَرونَ أنِّي فاعِلٌ بِكُم؟» قالوا: خيراً، قال: «اذهَبُوا فَأَنتُمُ الطُّلَقاءُ». فأعتقهم رسولُ الله ﷺ وقد كان الله أمكَنَهُ من رِقابهم وكانوا قباله، فلذلك يسمون الطلقاء[٣].

ثم قال: «ألا كل دَيْن ودَمٍ ودَعْوى ومأَثُرةٍ كان في الجاهلية فهو تحت قدمي، وأول ما أَضَعُ دمَ ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب» [٤] وذكر بمعنى ما ذكر الواقدي ثم قال: «يا معاشر قريش قد أذهب الله عنكم نَخْوَةَ الجاهلية».

وابن ربيعة بن الحارث اسمه آدم، وقيل: إياس، وقيل: تَمَّام، كان مسترضعاً في بني سعد أصابه حجر فقتله.

قال ابن عباس: إنما خطب بعد الظهر، وفي رواية: خطب في اليوم الثاني.

---

(١) «المغازي» ٢/ ٨٣٣ ـ ٨٣٤ .

(٢) «المغازي» ٢/ ٨٣٧ ـ ٨٣٨ ، وما بين معقوفين زيادة منه .

(٣) انظر «السيرة» ٢/ ٤١٢ ، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٦١ .

(٤) هذا الحديث إنما هو في حجة الوداع لا في الفتح كما أخرجه مسلم (١٢١٨) .

قال عكرمة: حدثني ابن عباس قال: وقف رسولُ الله ﷺ بالحَزْوَرةِ وقال: «واللهِ إنَّكِ لَمِنْ أَحَبِّ أَرْضِها إليَّ، وإنَّكِ لخيرُ البلادِ أو لَخيرُ أَرضِ اللهِ، ولَولا أنَّ قَومَكِ أَخرَجُوني مِنْكِ لَما خَرَجتُ»[١].«و إنَّما أُحِلَّت لي ساعةً مِن نَهارٍ، وقَد عادَت كحُرْمتِها بالأمسِ»[٢].

وعن أبي هريرة قال: لما فتح الله على رسوله مكة قام فيهم فحَمِد الله وأثنى عليه ثم قال: «إنَّ اللهَ حَبَسَ عن مكَّةَ الفيلَ، وسَلَّطَ عليها رسُولَه والمؤمنِينَ، وإنَّما أُحِلَّت لي ساعةً مِن نهارٍ»، ثم قال:«هي حَرامٌ إلى يَومِ القِيامَةِ لا يُعْضَدُ شَجَرُها، ولا يُنَفَّر صَيدُها، ولا تَحلُّ لُقَطَتُها، ومَن قُتِلَ له قتيلٌ فهو بخير النظرين: إمَّا أن يفدى، وإمَّا أن يَقْتُلَ». فقام رجل من أهل اليمن يقال له: أبو شاه، فقال: يا رسول الله، اكتبوا لي. فقال: «اكتبُوا لأَبي شاهٍ». قيل: للأوزاعي: ما قوله: اكتبوا لي؟ ما يكتبون له؟ قال: خطبته التي سمعها. متفق عليه[٣].

صعود بلال على ظهر الكعبة:

فأَذَّنَ وصعد وقريش في رؤوس الجبال، منهم الخائف ومنهم من يطلبُ الأمان، فلما قال: «الله أكبر» تزعزت بيوتُ مكة، فلما قال: «أشهد أن لا إله إلا الله» خرَّت الأصنام سجَّداً، فلما قال: «وأشهد أنَّ محمداً رسول الله» تقول جويرية بنت أبي جهل: لقد أكرم الله أبا الحكم حيث لم يسمع نهيق عَبْدِ بني جُمَح على ظهر الكعبة، قد لعمري رفع لك ذكرك، أما الصلاةُ فنصلي، ولكن والله ما نحب من قتل الأحبة أبداً. وقال خالد بن سعيد بن العاص: الحمد لله الذي أكرم أبي فلم ير هذا اليوم ولم يسمع هذا الصوت. وقال الحارث بن هشام: واثكل أُماه ليتني مِتُّ قَبل اليوم. وقال الحكم بن مروان: هذا والله الحدث العظيم، أن يصيح عبد بني جمح ينهق على بنيَّة أبي طلحة.

وقال سهيل بن عمرو: إن كان هذا سخطاً من الله فسيُغيّره، وإن كان لله فيه رضى

---

(١) لم نقف عليه من حديث ابن عباس، وأخرجه أحمد في «مسنده» (١٨٧١٥) من حديث عبد الله بن عدي الزهري رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (١٠٤)، ومسلم (١٣٥٤) من حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه .

(٣) البخاري (٢٤٣٤)، ومسلم (١٣٥٥) .

فسيقره. وقال أبو سفيان بن حرب: أما أنا فلا أقول شيئاً، لو قلت شيئاً لأخبرته هذه الحصاة، وجاء رسولَ الله ﷺ الوحيُ بما قالوا، فجاء إليهم ووقف عليهم وقال: أنتَ قلت كذا وأنت قلت كذا، فقال أبو سفيان: وأنا قلتُ شيئاً؟ فقال: لا، وضحك[١].

وقالت أم هانئ: ذهبتُ إلى رسول الله ﷺ يوم الفتح فوجدته يغتسل وابنته فاطمة تستره بثوب، فسلَّمتُ عليه، فقال: «مَن هذِه؟» فقلت: أنا أم هاني بنت أبي طالب. فقال: «مَرحَباً يا أُمَّ هانئ». فلما فرغ من غُسْلِهِ قام فصلى ثماني ركعات مُلتحفاً في ثوب واحد، فلما انصرف من صلاتِه قلتُ: يا رسول الله، زعم ابنُ أبي أنه قاتلٌ رجلاً قد أجرتُه، فلانُ بن هبيرة، فقال رسول الله ﷺ: «قد أَجَرْنا مَن أَجَرْتِ يا أُمَّ هانئ». وكان ذلك ضُحىً. أخرجاه في «الصحيحين» ولمسلم بمعناه[٢].

وعنها قالت: لما فتح الله على رسولِه مكَّة فرَّ إليَّ رجلان من أحمائي من بني مخزوم، فأجَرْتُهما وأدخلتُهما بيتي، فجاء أخي فقال: لأقتلنهما، فقلت: إني قد أجرتُهما، وأَغلقتُ عليهما بابي، ثم جئت رسولَ الله ﷺ بأعلى مكَّة فوجدته يغتسل من جَفْنَةٍ فيها من أَثر العَجين، وابنته فاطمة تسترُه بثوبٍ، فلما فرغ من غُسْلِه أخذ ثوبه فتوشحه، ثم ركع ثماني ركعات من الضحى، ثم أقبل عليّ وقال: «مَرحَباً وأَهلاً يا أُمَّ هانئ، ما جاءَ بكِ؟» فأخبرته الخبر فقال: «لَيسَ بقاتِلِهما»[٣].

ذِكْرُ النفرِ الذين أَباح رسول اللهِ دِماءَهم:

وهم أَنس بن زُنَيم بن عمرو بن عبد الله من كنانة، وهو أخو ساريةَ بنِ زُنَيم صاحب وقعة نهاوَنْد، والحارثُ بنُ نُقَيد، وصفوان بن أُمية، وعبدُ الله بن خَطَل، وعبد الله بنُ سعد بن أبي سَرْح، وعكرمةُ بن أبي جهل، ومِقْيَسُ بن صبابةَ، ووحشي قاتل حمزة، وهَبّار بن الأَسود.

ومن النساءِ: سارة مولاة عمرو بن هاشم بن عبد المطلب، وفَرْتنى، وقُرَيبَةُ، وهند

(١) انظر «المغازي» ٢/ ٨٤٦ .

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧)، ومسلم (٣٣٦) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» ١٢/ ٤٥٢ ، وأحمد في «مسنده» (٢٦٨٩٢) .

بنت عتبة امرأة أبي سفيان بن حرب.

فأما أنس بن زنيم فكان قد نقل إلى رسول الله ﷺ أنه قد هجاه، فقال يعتذر[١]:

[من الطويل]

أَنتَ الذي تُهدى مَعَدٌّ بأمرِهِ ... بلِ الله يَهديها وقال لَكَ اشهَدِ
فما حَمَلَت مِن ناقَةٍ فَوقَ رَحْلِها ... أبرَّ وأَوفَى ذِمَّةً مِن مُحَمَّدِ
أَحثَّ على خيرٍ وأوسعَ نائلاً ... إذا راحَ يهتزُّ اهتزازَ المهنَّدِ
وأكسى لبُرْدِ الخالِ قبل احْتِذائِهِ ... وأعطى لرأسِ السابِحِ المتجَرِّدِ
تعلم رسولَ الله أنَّكَ مُدْرِكي ... وأنَّ وعيداً مِنْكَ كالأَخْذِ باليدِ
تعلَّمْ رسولَ اللهِ أنكَ قادِرٌ ... على كلِّ سكنٍ من تِهامٍ ومُنْجِدِ
ونُبِّي رسولُ الله أَني هَجْوْتُه ... فلا رفَعَتْ سَوْطي إليَّ إذاً يدي
سوى أنني قد قلتُ يا ويحَ فِتْيةٍ ... أُصيبوا بنحسٍ يَومَ طَلْقٍ وأَسْعُدِ
ذُؤَيباً وكُلثوماً وسَلمى تَبايَعُوا ... جميعاً فإلَّا تَدمعِ العينُ أكْمَدِ
على أن سَلْمى ليس فيهم كمِثْلهِ ... وإخوته أَوْ هَلْ ملوكٌ كأَعْبُدِ
فإنِّيَ لا عِرضاً خَرَقْتُ ولا دَماً ... هرقت، ففكّر عالم الحق واقْصُدِ
وتعلم أن الركبَ ركبُ عُوَيْمرٍ ... هُمُ الكاذِبُونَ المُخْلِفُو كلَّ مَوْعِدِ

يشير إلى خزاعة وما نَقلوا إلى رسول الله ﷺ عنه، عَنَى ذؤيباً وكُلثوماً وسَلمى وكانوا من سادات العرب يُدَوْنَ بدِيَتَيْنِ لفضلهم في بني بكر، وهم: بنو الأسود بن رَزْن مروا على خزاعة فقتلوهم عند أنصاب الحرم، فكانوا سبباً لإعانةِ قريشٍ على خُزاعةَ[٢].

لما قدموا على رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله إن أنس[٣] بنَ زُنَيْم الدِّيلي هجاك، فأهدر دمه، فلما قال هذه الأبيات كلَّمه فيه نوفل بن معاوية الدِّيلي سيِّدُ بكر، وقال: يا رسول الله كذبتْ عليه خزاعةُ، وأطنب فيه، فقال رسول الله ﷺ: «قد عفوت عنه».

---

(١) السيرة ٢/ ٤٢٤، والمغازي ٢/ ٧٨٩، والطبقات ٦/ ١٥١ـ١٥٢.

(٢) انظر «السيرة» ٢/ ٤٢٤، وطبقات ابن سعد ٦/ ١٥١.

(٣) في النسخ: أنيس، والمثبت من السيرة ٢/ ٤٢٤.

وقال بُدَيْل بن أَصْرَم يرد على أنس[١]: [من الطويل]

بكى أنسٌ رَزْنَاً فأعوزه البُكا ... وأشفق لَمَّا أوقَد الحربَ مُوقِدُ
ويبكي على سلمى وكلثومَ بعدَه ... سقاهم بكأس الموت قيسٌ ومَعْبَدُ

* * *

وأما الحارث بن نقيد[٢] بن وهب بن عبد بن قصي بن كلاب، ويقال له: الحويرث، كان شديداً على رسولِ الله ﷺ يهجوه ويهجو أصحابه ويؤذيه، فلقيه علي رضي الله عنه يوم الفتح فقتله كافراً[٣].

وكان له ولد اسمه جبير بن الحارث من التابعين، قال الواقدي: أدرك رسول الله ﷺ ولم يرو عنه شيئاً. وقال ابن عبد البر: في صحبته نَظَر[٤]. وذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من تابعي أهل المدينة، روى عن أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما وغيرهما، وروى عنه عروة بن الزبير وابن المسيب وغيرهما، شهد اليرموك، فسمع صائحاً يصيح: يا خيل الله اركبي، يا معاشر المسلمين هذا يوم من أيام الله تعالى قاتلوا فيه بلا حياء. قال: فتأملتُه فإذا به أبو سفيان بن حرب تحت راية ابنه يزيد.

* * *

وأما صفوان بن أمية فهرب يوم الفتح حتى أتى الشُّعَيْبَةَ ومعه غلامه يَسار فقال له: ويحك انظر من تَرى، فنظر فقال: هذا عمير بن وهب، فقال صفوان: ما أصنع بعمير، والله ما جاء إلا يريد قتلي، قد ظاهر محمداً فلحقه، فقال: يا عمير ما كفاك ما صنعت

---

(١) لم نقف على هذين البيتين بهذه الرواية في المصادر، ورواية «السيرة» ٢/ ٤٢٥ :

بكى أنس رزناً فأعوله البكا ... فألّا عدياً إذ تُطَلُّ وتُبعَدُ
بكيتَ أبا عبس لقرب دمائها ... فتُعذِرَ إذ لا يوقد الحرب مُوقد
أصابهم يوم الخنادم فتية ... كرامٌ فَسَل منهم نفيل ومعبد
هنالك إن تسفح دموعك لا تلم ... عليهم وإن لم تدمع العين فاكمدوا

(٢) في النسخ: «معبد» والمثبت من «الطبقات» ٧/ ٥ في ترجمة ابنه جبير.

(٣) انظر «المغازي» ٢/ ٨٥٧، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٣١.

(٤) «الاستيعاب» بهامش الإصابة ١/ ٢٣٢.

بي؛ حمَّلْتني دَيْنَكَ وعيالَكَ وجئت تريدُ قتلي، فقال: أبا وهب، جُعِلْتُ فِداكَ جئتك من عندِ أَبرِّ الناس وأوصلِ الناس وقد أَمَّنَك، فقال: والله لا أرجع معك حتى تأتيني بعلامةٍ أَعْرِفُها، فرجع وقال: يا رسول الله قال كذا وكذا، فقال: «خذ عِمامتي» وهي البُرْدَةُ التي دخل بها رسولُ الله ﷺ يوم الفتح مُعْتَجِراً بها، فعاد بها إليه فجاء معه فوافى النَّبي ﷺ وهو يُصلِّي العصرَ، فوقف حتى سلَّم وناداه: يا محمد إن هذا جاء ببردك وزعم أنك أَمَّنْتَني فقال: «نعم أَبا وهب»، فأقام مع رسول الله ﷺ على حاله حتى خرج معه إلى هَوازن وهو كافِرٌ.

وأرسل إليه رسول الله ﷺ يستعير سلاحاً، فقال: أَطَوْعاً أو كُرْهاً؟ قال: «بل عارِيَّة مؤداة» فأعاره مئة دِرْعٍ وسلاحاً وحمله إلى حنين وشهد حنَيْناً والطائِفَ وهو على شركه، ثم رجع إلى الجِعْرانة، فبينما رسول الله ﷺ يسير في الغنائم ينظر إليها وصفوان معه، فجعل ينظر إلى شِعْبٍ مُلئ نَعَماً وشاءً ورِعاءً، فأدام النظر إليه ورسول الله ﷺ يرمُقه فقال: «أبا وَهبٍ، يُعجبُكَ هذا الشِّعْبُ؟» قال: نعم فقال رسول الله ﷺ: «هُوَ لَكَ وما فِيهِ»، فقال صفوان عند ذلك: ما طابت نفسُ أحدٍ بمثل هذا إلا نفسُ نبي، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأسلم مكانه[1].

وكانت تحته فاختةُ بنت الوليد بن المغيرة، فأسلمت قبله ففرَّقَ الإسلامُ بينهما، فلما أسلم رُدَّت عليه بالنِّكاح الأول[2]، وقيل: بنكاحٍ جديد.

وأما عبدُ الله بنُ خَطَل فقال أنس: دخل النبيُّ ﷺ يومَ الفتح مكَّة وعلى رأسه المِغْفَرُ، فلما نزعه جاءه جبريل فقال: ابن خَطَل متعلق بأستار الكعبة، فقال: «اقْتُلُوه» فقتلوه[3].

قال أبو بَرْزَةَ الأسلمي: أخرجتُه من بين أَستار الكعبةِ فضربت عنقه بين الركن والمقام، وهربت قَيْنتاه، فقُتِلَت إحداهما وعاشت الأخرى إلى زمن عثمان رضوان الله

(١) «المغازي» ٢/ ٨٥٣، و«الطبقات» ٦/ ١١١ ـ ١١٢، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٣٥، و«المنتظم» ٥/ ٣٣٢، و«تاريخ دمشق» ٢٤/ ١١٢، و«السيرة الشامية» ٥/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠.

(٢) «الطبقات» ٦/ ١١١.

(٣) أخرجه البخاري (١٨٤٦)، ومسلم (١٣٥٧).

عليه، فكُسِرَ ضِلَعٌ من أضلاعها فماتت فقضى عثمان فيها بثمانية آلاف درهم، الستة آلاف دِيَتُها وألفين تعظيماً لأَمْرِ الجنايةِ في الحرم[١].

* * *

وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح فأمه مُهانةُ بنت جابر من الأشعريين، قدمت على رسولِ الله ﷺ مسلمة، فأحسن إليها ووصلها، فعادت إلى مكة مرتدة تهجوه وتهجو المسلمين، فصادفها علي رضوان الله عليه يوم الفتح فقتلها[٢].

وعبد الله أخو عثمان رضوان الله عليه من الرَّضاعة، فلما كان يومُ الفتح جاء إليه وقال: أنت أخي من الرضاعة فكلِّمْ محمداً فِيَّ، فإنه إن رآني قتلني، فإن ذنبي أعظم الذنوب. فلم يُرَعْ رسولُ اللهِ ﷺ إلا وعثمانُ رضي الله عنه آخذٌ بيد عبد الله فقال: يا رسولَ الله، أخي من الرَّضاعة، فأعرض عنه، فردَّد عليه الكلام وأكبَّ عليه يقبِّلُ رأْسَه ويقول: فداك أبي وأمي، قال: «نعم» وكان رجلٌ من الأنصار نذر أن يقتله وكان حاضِراً، فقال له رسول الله ﷺ: «هلَّا وَفَّيتَ بنَذرِكَ» فقال: انتظرتك أن تومئ إليَّ، فقال: «الإيماءُ خيانةٌ، ما كانَ لنبيٍّ أَنْ يُومئَ»[٣].

* * *

وأما عكرمة بن أبي جهل فإنه هرب يوم الفتح، فاستأمنت له زوجته رسولَ الله ﷺ فأمَّنَه، فخرجت في طلبه، وكان قد ركب البحر فهبَّ بهم فجعل النَّواتي يَدْعون الله ويُوَحِّدونَه فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله تعالى، فقال: هذا إله محمد الذي يدعو إليه فأرجعوني، فرجع ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فوقف بين يديه ومعه امرأته فقال: إلامَ تدعو؟ فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة... وعدَّد له خصال الإسلام. فقال عكرمة: والله ما دعوتَ إلَّا إلى

(١) «المغازي» ٢/ ٨٥٩ ـ ٨٦٠ .

(٢) لم نقف في مصدر من المصادر أن علياً قتل مهانة ولا أنها قتلت ولا أسلمت، وإنما ذكر البلاذري في «أنساب الأشراف» ١/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣ أن الذي قتلها علي يوم الفتح هي سارة صاحبة كتاب حاطب، وذكر صاحب «السيرة الشامية» ٥/ ٣٤١ أنها أسلمت وعاشت إلى خلافة عمر بن الخطاب. والله أعلم .

(٣) «المغازي» ٢/ ٨٥٥ ـ ٨٥٦ ، و«الطبقات» ٦/ ١٣٠ ـ ١٣١ .

الحق. ثم أسلم، وردَّ عليه رسول الله ﷺ امرأته بالنكاح الأَول[١].

وأما مِقْيسُ بن صبابة فكان رسول الله ﷺ أهدر دمه، فلما كان يومُ الفتحِ شرب الخمرَ وأصبح مصطبحاً في ندامى له، فعلم بمكانه نُميلةُ بنُ عبد الله فأتاه فوجده يترنم: [من الوافر]

دَعـيـنـي أَصـطَـبِـح بَـكْـراً فَـإِنِّـي ... رَأيـتُ الـمـوتَ نـقَّـبَ عـن هـشـامِ
ونَـقِّـب عـن أَبـيـك أبـي يـزيـدٍ ... أَخـي الـقَـيْـنـاتِ والـشَّـرْبِ الـكِـرامِ
بـهـم أَرسَـت رَواسِـيَ مـن ثَـبـيـرٍ ... ومـن ثَـوْرٍ ولـم يُـصْـمـم صَـمـامِ
تُـغـنـيـنـي الـحـمـامُ كـأنَّ رَهْـطـي ... خُـزاعـةُ أو أنـاسٌ مـن جُـذامِ

قال: فبادره نُميلةُ فضربه بالسيف حتى برد.

ويقال: إنه خرج وهو يتمثل بين الصفا والمروة، فرآه المسلمون فقتلوه[٢].

* * *

وأما وحشي فهرب إلى الطائف، ثم قدم على رسول الله ﷺ مُسْلِماً[٣].

* * *

وأما هبَّار بن الأسود فكان رسول الله ﷺ أهدر دمه فهرب يوم الفتح.

قال جبير بن مطعم: كنت جالساً معَ رسول الله ﷺ في مسجده بالمدينة منصرفه من الجِعِرَّانةِ فطلعَ هبَّارُ بن الأسود، فنظر إليه القوم وقالوا: هذا هبَّارٌ، فقال رسول الله ﷺ: «قَد رَأَيتُه»، وأراد بعض القوم أن يقوم إليه، فقال له رسول الله ﷺ: «اجْلِس» فوقف عليه هبار وقال: السلام عليك يارسول الله، وذكر الشهادتين، ثم قال: لقد هربت منك في البلاد وأردت اللحاق بالأعاجم، ثم ذكرت عائدتك وفضلك وبرك وصفحك، واعتذر طويلاً فقال رسول الله ﷺ: «قد عَفوتُ عنك، وقد أحسنَ الله إليكَ إذ هَداكَ للإسلامِ، والإسلامُ يَجُبُّ ما قَبلهُ». وخرجت سلمى مولاةُ رسول الله ﷺ فقالت: لا أنعم

(١) «المغازي» ٢/ ٨٥١ ـ ٨٥٢ ، و«الطبقات» ٦/ ٨٥ ـ ٨٦ .

(٢) «المغازي» ٢/ ٨٦٠ ـ ٨٦١ .وفيه أنه خرج وهو تمل فيما بين الصفا والمروة

(٣) «المغازي» ٢/ ٨٦٢ ـ ٨٦٣ .

الله بك عيناً، أنت الذي فعلت وفعلت، فقال: «إنَّ الإسلامَ مَحا ذلكَ»[١].

ونهى رسول الله ﷺ عن سبِّه وقال له: «سُبَّ من سَبَّكَ»[٢].

* * *

وأما هند بنت عتبة فأسلمت.

ولما قتل النفر الذين عيَّنَهم رسولُ الله ﷺ سُمع النوح عليهم بمكة، وجاءه أبو سفيان بن حرب فقال: فداك أبي وأمي، البقيةَ على قومك، فقال رسول الله ﷺ: «لا يقتل قرشي بعد اليوم صبراً» يعني: على كفر[٣].

* * *

وطُلبَ عبدُ الله بنُ الزِّبَعْرى فهرب إلى نجران، فحصنوا حصنهم، وأرسل حسانُ بن ثابت إلى ابن الزِّبَعْرى بأبيات منها: [من الكامل]

لا تَعدَمَنْ رَجُلاً أحلَّكَ بُغْضُه ... نَجرانَ في عيشٍ أحَذَّ لئيمِ

بَلِيَتْ قَناتُكَ في الحروبِ فأُلفِيَتْ ... خَمّانةً جوفاء ذاتَ وُصومِ

غَضَبُ الإلهِ على الزِّبَعْرى وابنه ... وعذابُ سُوءٍ في الحياة مقيمِ

فلما وقف على الأبيات تهيَّأ للخروج، فقال له هبيرة: أين تريد؟ قال: محمداً، قال: تتبعه؟ قال: نعم، قال: يا ليت أني رافقتُ غيرك، والله ما ظننت أنك تتبع محمداً أبداً، قال: على أيّ شيء أُقيمُ عِنْدَ الحارثِ بن كعب وأدع ابن عمي خير الناس وقومي وداري، وجاء إلى رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله، والحمد لله الذي هداني للإسلام، لقد عاديتك وأَجْلَبْتُ عليك، وركبت الفرس والبعير، ومشيت على قدمي في عداوتك، ثم هربت منك إلى نجران ... واعتذر، فقال رسول الله ﷺ: «الحمدُ للهِ الذي هَداكَ إلى الإسلامِ، والإسلام يَجُبُّ ما قَبْلَهُ»[٤].

---

(١) «المغازي» ٢/ ٨٥٧ ـ ٨٥٨، و«الطبقات» ٦/ ٦٠.

(٢) «المغازي» ٢/ ٨٥٩، و«الطبقات» ٦/ ٦٢.

(٣) «المغازي» ٢/ ٨٦٢، والحديث أخرجه مسلم (١٧٨٢) من حديث مطيع بن الأسود.

(٤) «المغازي» ٢/ ٨٤٧ ـ ٨٤٨، و«الطبقات» ٦/ ١٠٨ ـ ١٠٩.

وقال لما أسلم[١]: [من الكامل]

منعَ الرُّقادَ بلابلٌ وهمومُ ... والليلُ معتلجُ الرواقِ بَهيمُ
مِمّا أتاني أنَّ أحمدَ لامَني ... فيه، فبتُّ كأنَّني محمومُ
يا خَيْرَ مَنْ حملتْ على أوصالِها ... عيرانةٌ سُرُحُ اليدين غَشُومُ
إنِّي لمعتَذِرٌ إليك من الذي ... أَسْدَيْتُ إذْ أنا في الضلالِ أَهيمُ
أيام تأمرني بأسوأ خُطَّةٍ ... سَهْمٌ وتأمرني بها مخزومُ

وأما هُبيرة فأقام بنجران ومات بها كافراً.

وأسلمت أم هانئ فكتب إليها لَمّا بلغه إسلامُها في أبيات[٢]:

فإن كنتِ قد تابعتِ دينَ محمَّدٍ ... وقطَّعَتِ الأَرحامَ مِنك حِبالُها
فكوني على أعلى سحوق بهضبةٍ ... مُلَمْلَمةٍ حَمراءَ يَبْسٍ بلالُها

* * *

وأما سهيل بن عمرو فقال: لما دخل رسول الله ﷺ مكة أَغْلَقْتُ بابي، وأرسلت إلى ابني عبد الله أن يطلب لي جواراً من رسولِ الله ﷺ فإني لا آمن القتل، وجعلتُ أتذكَّرُ آثاري وما فعلتُ يوم الحُدَيْبِيَةِ، وقتال رسولِ اللهِ ﷺ في كلِّ مَوْطنٍ، وطلب لي عبد الله أماناً، فقال رسول الله ﷺ: «هو آمن» وقال لمن حوله: «من لقي منكم سُهَيْلاً فلا يُحِدَّ النظر إليه، فإن له عَقْلاً وشَرفاً وَلْيَخْرُجْ من بيته آمناً»، فأخبره ابنه بمقالةِ رسول الله ﷺ فقال سهيل: كان والله بَرًّا صغيراً وكبيراً.

وكان سهيل يُقْبِلُ ويُدْبِرُ ولا ينظر إليه أحد، وخرج مع رسول الله ﷺ إلى حُنين وهو كافر فأسلم بالجِعِرَّانة[٣].

ذِكْرُ مُبايعةِ النِّساء:

قال أبو حبيبة مولى الزبير: لما كان يوم الفتح أسلمت هند بنت عتبة، وأم حكيم

(١) الأبيات في «السيرة» ٢/ ٤١٩ .
(٢) الخبر في «السيرة» ٢/ ٤٢٠ ـ ٤٢١ ، و«المغازي»، ٢/ ٨٤٨ ـ ٨٤٩ .
(٣) «المغازي» ٢/ ٨٤٦ ـ ٨٤٧ ، و«الطبقات» ٦/ ١٢٣ .

بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة بن أبي جهل، وكلثوم بنت المعدل كنانية امرأة صفوان بن أمية، وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة، ونسوةٌ من قريش، فأتين رسول الله ﷺ وهو بالأَبْطح وعنده زوجتاه وابنته فاطمة ونساء من بني عبد المطلب فبايعنه، فقالت هند: يارسول الله، الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه، لتمسني رَحِمُك يا محمد، فإني امرأة مؤمنةٌ بالله، ثم كشفت عن نقابها وقالت: هند بنت عتبة، فقال لها: «مَرحباً بكِ» فقالت: والله يا رسول الله، ما كان على الأرض من أهل خِباء أَحبُّ إلي من أن يَذِلّوا من خِبائك، ولقد أصبحتُ وما على الأرض من أهل خِباء أحبُّ إليَّ من أن يَعِزُّوا من أهل خبائك. فدعا لها رسول الله ﷺ وقرأ عليهن القرآن وبايعهن، فقالت هند: يا رسول الله ألا نصافحك؟ فقال: «إنِّي لا أُصافِحُ النِّساءَ»(١).

وقال الهيثم: جاءت هند متنكرة في النساء إلى الصفا ورسول الله ﷺ جالس عنده، وعمر بن الخطاب رضوان الله عليه قائم على رأسه وبيده السيف صَلْتاً، فبايعه الناس وهند قد أرسلت خِمارَها على وجهها خوفاً من القَتْلِ، فقال رسول الله ﷺ: «أبايعكُنَّ على أَن لا تُشرِكنَ باللهِ شَيئاً». قلْنَ: نَعم. قال: «ولاتَزْنين». فقالت هند: وهل تزني الحرَّة. فقال: «ولا تَسْرِقنَ ولا تَقْتُلنَ أَولادَكُنْ». فقالت: أما الأولاد فإنا ربَّيْناهم صغاراً وقتلتموهم كِباراً، وأمَّا السَّرقة فقد كنت أصبتُ من مال أبي سفيان ولا أَدري أيحلُّ لي ذلك أم لا؟ فقال رسول الله ﷺ: «وإنَّكِ لهِنْدٌ؟». قالت: نعم. فقال: «مَرحباً و أَهْلاً». وكان أبو سفيان حاضِراً فقال: أما ما مضى فأنت منه في حِلٍّ، ومنَ الآن فلا. فقالت: يا رسول الله اعف عني. فقال: «عَفا الله عنكِ»(٢).

وهذا بمكة، وأمَّا في المدينة فقد بايعه معظم نساء الأنصار.

ولما أسلمت هند كَسَرَت كلَّ صنم كان في بيتها وقالت: لقد كنا منهم في غرور، وأهدت إلى رسول الله ﷺ جدْيَيْنِ مَرْضُوفَيْن وسقاء من لبن، فأتت الجارية خيمته فاستأذنت، فأذن لها فدخلت وسلمت وقالت: إن مولاتي أرسلت إليك بهذه الهدية وهي معتذرة إليك، وتقول: إن غنمنا اليوم قليلة.

---

(١) «الطبقات» ١٠/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

(٢) انظر «تاريخ الطبري» ٣/ ٦١ ـ ٦٢ .

فقال رسول الله ﷺ: «بارَكَ اللهُ لكُم في غَنَمِكُم وأَكثَر أَولادَها». فرجعت الجارية إليها فأخبرتها فَسُرَّت بذلك[١].

ذكر إسلام أبي قُحَافة:

قالت أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ رضي الله عنهما: لما كان عامُ الفتح ونزل رسول الله ﷺ بذي طوى، قال أبو قحافة لابنة له صغيرةٍ أصغر ولده: يا بُنَيَّةُ أشرفي بي على أبي قُبَيْسٍ، وكان قد كُفَّ بَصرُه، فأشرفت به عليه فقال: ماذا ترَيْن؟ فقالت: أرى سواداً مُجْتمعاً وأرى رجلاً يَشْتَدُّ بين ذلك السواد، فقال: تلك الخيل، أسرعي بي إلى منزلي، فخرجت به سريعاً حتى هبطت الأَبْطح، فلقيتها الخيل وفي عنقها طوق من وَرِق فاقتطعه إنسان من عُنِقها، فلما دخل رسولُ الله ﷺ المسجد خرج أبو بكر رِضوانُ الله عليه فجاء بأبيه يقودُه، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «وهلّا تركتَ الشيخَ في بيته حتى كنتُ أَجيئُه»، فقال: يا رسول الله، هو أحق أن يمشيَ إليك، فأجلسه بين يديه ثم مسح على صدره وقال: «أَسلِمْ تَسْلَم» فأسلم، ثم قام أبو بكر رضوان الله عليه فأخذ بيد أخته وقال: أنشد الله والإسلامَ رجلاً رأى طوق أختي فردَّه، قالها مراراً، فما أجابه أحد فقال: يا أُخَيَّةُ احتسبي طوقكِ، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقَليل[٢].

* * *

وجاء أبو أحمد الأعمى بن جحش إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني لما هاجرتُ إلى الله ورسوله باع أبو سفيان داري بأربع مئة دينار وأُريدُ ثمنَها، فكان أبو سفيان حاضراً، فقال له رسول الله ﷺ: «أَلا تَرضى بها داراً في الجنَّةِ؟» قال: بلى[٣].

ذكر إسلام عُتْبَةَ ومُعتِّب ابني أَبي لهب:

وأمهما أم جَميل بنت حَرْب، حَمَّالة الحطب، قال رسولُ الله ﷺ يوم الفتح للعباس

---

(١) «المغازي» ٢/ ٨٦٨ ـ ٨٦٩ .

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦٩٥٦) دون قوله: فو الله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل .

(٣) «الطبقات» ٤/ ٩٦ .

ﷺ: «أينَ ابنا أَخيكَ عُتْبةُ ومُعتِّبٌ»؟ فقال: حاضران، فجاء بهما فَسُرَّ رسولُ الله ﷺ بإسلامهما، وخرجا معه من فوره وشهدا حنيناً وثبتا، وأصيبت عين مُعتِّبٍ يوم حنين، وأقاما بمكة بعد الفتح، ولم يقم بها أحد من بني هاشم سواهما[١].

ولما دخل رسولُ الله ﷺ مكة قيل له: ألا تنزلُ بَعْضَ بيوتك؟ فقال: «وهل ترك لي عَقيلٌ من منزل»[٢].

وكان عَقيلٌ قد باع منزل رسول الله ﷺ ومنازل بني هاشم، فضربت لرسول الله ﷺ قُبَّةٌ بالحَجون، فكان يمشي من الحَجونِ إلى المسجد وقتَ كل صلاة.

وقال ابن عباس: كان لرسولِ الله ﷺ صديقٌ من ثقيف أو دوس، فلقيه يوم الفتح براويةٍ من خمر، فقال له رسول اللهﷺ: «أَما عَلِمتَ أنَّ اللهَ حَرَّمَها»؟ فسارَّ غلامه بشيء، فقال له رسول الله ﷺ: «ما الذي قُلْتَ له؟» قال: قلت له: اذهب بها إلى الزورة فبعها، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الذي حَرَّمها حَرَّم ثَمَنَها» فأمر بها فأُفْرِغَتْ بالبطحاء. انفرد به مسلم[٣].

ذكرُ ما استسلف رسول الله ﷺ من المال:

استسلف من عبد الله بن أبي ربيعة أربعين ألف درهم، واستقرض من صفوان بن أمية خَمْسين ألف درهم، ومن حُويطب بن عبد العزى أربعين ألفاً، فقسم الجميع بين أصحابه من أهل الضعْفِ، فلما فتح الله عليه هوازن أَوْفى الجميع وزادهم.

ذكر تجديد أنصاب الحرم:

وكان أَوَّلَ من وضعها آدمُ وإبراهيم وجبريل يريه ذلك، ثم لم تُحرّكْ حتى كان إسماعيل فجدَّدها، ثم لم تُحَرَّكْ حتى كان قصي فجددها، ثم لم تحرك حتى كان يوم الفتح فجدَّدَها رسولُ الله ﷺ، ثم لم تحرك حتى كان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه

---

(١) «الطبقات» ٤/ ٥٥ ـ ٥٦ .

(٢) أخرجه البخاري (١٥٨٨)، ومسلم (١٣٥١) من حديث أسامة بن زيد ﷺ .

(٣) أخرجه مسلم (١٥٧٩)، وأحمد في «مسنده» (٢٠٤١) .

[فبعث مخرمةَ بنَ نوفل وأَزهر بنَ عبدِ عوف وحُوَيطبَ بنَ عبد العُزّى وسعيد بن يربوع المخزومي فجددوها، ثم كان عثمان بن عفان ﷺ] فبعث هؤلاء النفر فجددوها، ثم حج معاوية [فبعثهم فجددوها]، ثم جددها عبد الملك بن مروان[١].

* * *

وفي هذه الغزاةِ تزوجَ رسولُ الله ﷺ مليكة بنت داود الليثية[٢]. وقيل: اسمها عَمْرة بنت كعب، وقيل: إنها كنانية، وأنه دخل بها وماتت عنده[٣].

وقال الزهري: ما تزوج رسولُ الله ﷺ كِنانية قط، ولا دخل بهذه[٤]. وهي التي استعاذت منه، وتزوجها قبل الفتح، وقيل: بعده، وكان أبوها قُتلَ يوم الفتح.

قال البلاذري: كانت حَدَثة جميلة، فجاء إليها بعض أزواج رسول الله ﷺ فقالت لها: ألا تستَحينَ أن تنكحي قاتلَ أبيك؟ فاشمأزت، وقالت: فكيف أصنع؟ فقالت لها: إذا جاء إليكِ فقولي: أعوذ بالله منك، ففعلت فقال رسول الله ﷺ: «لقد عذت بمعاذ» وفارقها[٥]. والتي قالت لها عائِشةُ رضوان الله عليها.

وقال أبو حصين الهذلي: قَدِمت على رسول الله ﷺ مكَّةَ امرأةٌ من نساءِ بني سعد بن بكر بِنِحْيٍ مملوءٍ سَمْناً وجرابٍ فيه أَقِطٌ، فدخلت عليه وهو بالأَبطح، فانتسبت له فعرفها ودعاها إلى الإسلام فأسلمت، فقبل هديتها، وسألها عن حليمة فأخبرته بوفاتها فذرفت عيناه، ثم سألها: «من بقي منهم؟» فقالت: أخواك وأختاك وهم والله محتاجون إلى بِرِّكَ وصِلَتك، ولقد كان لهم موئِلٌ فذهب، فقال لها رسول الله ﷺ: «أين أهلُك؟» فقالت: بذات أَوْطاس، فأمر لها بكسوة وأعطاها حمل ظعينة ومئتي درهم، فانصرفت وهي تقول: نِعْمَ والله المكفول كنت صغيراً، ونعم المرءُ كبيراً عظيمَ البركة[٦].

---

(١) المغازي ٢/ ٨٤٢ وما بين حاصرتين منه.

(٢) رجح ابن حجر أن اسمها مليكة بن كعب. انظر «الإصابة» ٤/ ٤١٠.

(٣) «الطبقات» ١٠/ ١٤٣، و«أنساب الأشراف» ١/ ٥٤٨ ـ ٥٤٩.

(٤) «الطبقات» ١٠/ ١٤٤.

(٥) «أنساب الأشراف» ١/ ٥٤٨، وقوله ﷺ: «لقد عذت بمعاذ» إنما قاله لأسماء بنت النعمان بنت الجون الكندية. انظر «أنساب الأشراف» ١/ ٥٤٦.

(٦) «المغازي» ٢/ ٨٦٩.

فصل في المتعة

حدَّث الربيع بن سَبْرَةَ الجُهَنيُّ عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الفتح فأقمنا خمس عشرة ما بين يوم وليلة، فأذن لنا رسول الله ﷺ في المتعة، فخرجت أنا وابنُ عمٍّ لي، فلقينا فَتاةً من بني عامر بن صعصعةَ كأنها البكرة وأنا قريب من الدَّمامة، وعليّ برد جديد وعلى ابن عمي بُرْدٌ خَلَق وابنُ عمي وَسيمٌ، فقلنا لها: هل لك أن يستمتع منك أحدُنا؟ قالت: وهل يصلح ذلك؟ قُلنا: نعم، فجعلت تنظرُ إلى ابن عمي، فقلتُ لها: بُردي هذا بُرْدٌ جَديد وبرد ابن عمي خلَقٌ، قالت: برد ابن عمك لا بأس به، فاستمتع منها، فلم نَخْرجْ من مكة حتى حرَّمها رسول الله ﷺ[(١)].

قال المصنفُ رحمه الله: وقد اختلف الناس في جواز المتعة، فعامة العلماء على أنها باطلة، وروي جوازها عن جماعة منهم علي[(٢)]، وابن عباس[(٣)]، وجابر بن عبد الله[(٤)]، وأبي سعيد الخدري[(٥)] وعطاء بن أبي رباح، وابن جُرَيْج، وابن أبي مُليكة، وطاووس[(٦)] وحكاه أصحابنا.

قال ابن عبد البَرِّ: حرَّم مالكٌ المتعة في أهل المدينة والشافعي في أهل الحجاز، وأبو حنيفة في أهل الكوفة، والأوزاعي في أهل الشام، والليث في أرض مصر،

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٠٦) (٢٠)، وأحمد في «مسنده» (١٥٣٤٦).

(٢) لم نقف على قول لعلي بن أبي طالب ﷺ في جواز المتعة، بل ورد عنه النهي عنها، وهو، كما سيذكره المصنف بعد قليل، دليل على أن علي بن أبي طالب يرى النسخ كما قال البخاري عقب (٥١١٩): وقد بينه علي عن النبي ﷺ أنه منسوخ.

(٣) أخرجه البخاري (٥١١٦) عن أبي حمزة قال: سمعت ابن عباس يسأل عن متعة النساء، فرخص، فقال له مولى له: إنما ذلك في الحال الشديد وفي النساء قلة أو نحوه؟ قال: نعم.

وقال الترمذي عقب (١١٢١): وإنما روي عن ابن عباس شيء من الرخصة في المتعة، ثم رجع عن قوله حيث أخبر عن النبي ﷺ، وسيذكر المصنف عدول ابن عباس عن هذه الرخصة.

(٤) أخرجه البخاري (٥١١٧)، ومسلم (١٤٠٥) عن جابر وسلمة بن الأكوع قالا: خرج علينا منادي رسول الله ﷺ فقال: إن رسول الله ﷺ قد أذن لكم أن تستمتعوا يعني متعة النساء.

(٥) ذكره ابن قدامة في «المغني» ٧/ ١٣٦.

(٦) انظر «المغني» ٧/ ١٣٦.

والحسن في أهل البصرة.

واحتجَّ من أباحها بقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: ٢٤]، وبأحاديث منها:

ما روي عن ابن مسعود قال: غزونا مع النبي ﷺ وليس معنا نِساءٌ، فقلنا: ألا نختصي؟ فنهى رسولُ الله ﷺ عن ذلك، ثم رخَّص لنا في المتعة، وكان أحدنا يأخذ المرأة أو ينكِح المرأة بالثوب إلى أجل ثم قرأ ابن مسعود ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧] متفق عليه[١].

ولعامة العلماء قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾ [المؤمنون: ٦] والمتعة ليست من هذا القبيل، ألا ترى أنها ترتفع من غير طلاق ولا يجري بينهما توارث.

وأخرج البخاري عن علي رضي الله عنه أنه قال: نهى رسول الله ﷺ عام خيبر عن متعة النساء وعن لحوم الحمر الأهلية[٢].

وكذا قال عمر: أباح رسول الله ﷺ المتعة ثم حرَّمها.

وأما الآية فالمراد بها الاستمتاع بطريق النكاح المؤبد لا المؤقت، لأنه وسيلة إلى الأغراض المطلوبة من التناسل والتوالد وغيره، والتوقيت يبطله.

وروي أن عروة بن الزبير قال لابن عباس: أهلكت نفسَك وأهلكت الناسَ، فقال له: وما هو يا عُرَيُّ؟ قال: إباحةُ المتعةِ، وقد كان أبو بكر وعمر ينهيان عنها فقال: أُخْبِرُكَ عن رسول الله ﷺ وتخبرني عن أبي بكر وعمر، فقال عروة: هما كانا أعلم بالسنة منك.

وقال سعيد بن جُبير: قيل لابن عباس: لقد أكثرت في المتعة حتى سارت بها الركبان، وقال فيها الشاعر: [من البسيط]

أقول وقد طال الثواء بنا معاً ... يا صاح هل لكَ في فتوى ابن عباسِ

(١) أخرجه البخاري (٥٠٧٥)، ومسلم (١٤٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥١١٥) وأخرجه أيضاً مسلم (١٤٠٧).

يـا صـاحِ هـل لـك فـي بـيـضـاءَ آنـسِـةٍ تـكـونُ مـثـواك حـتـى رجـعـةِ الـنـاسِ

فانزعج ابن عباس وقال: ما إلى هذا ذهبت، ثم قام خطيباً في يوم عرفة وقال: أيها الناس إن المُتعةَ حرامٌ كالميتةِ والدمِ ولحمِ الخنزير[١].

وقال جابر بن يزيد: والله ما فارق ابن عباس الدنيا حتى رجع إلى قول الصحابة في تحريم المتعة.

وكان عمر رضوان الله عليه يقول: والله لا أوتى برجل أباح المتعة إلا رجمته[٢].

* * *

وبثَّ رسولُ الله ﷺ سراياه حول مكة وهو مقيم بها وسيَّر خالد بن الوليد لهدم العُزَّى، فخرج في ثلاثين فارساً فهدمها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فقال: «هَدَمْتَها»؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: «فَهَل رَأَيتَ شَيئاً»؟ قال: لا، قال: «فَإِنَّكَ لم تَهدِمْها، فارجعْ إِليها» فرجع وهو متغير، فجرَّد سيفه، فخرجت امرأة عُريانةٌ سوداءُ ناشرة شعرَها، قال خالد: فأخذني في ظهري قُشَعْرِيرَة وأقبل إليها وبيده السيف فضربها فجزَلَها اثنتيْنِ، ثم رجع إلى رسولِ الله ﷺ فأخبره، فقال: «تِلكَ العُزَّى، وقد يَئِسَت أَن تُعبدَ بِبلادِكُم أَبَداً». وكان هدمُها لخمس بقين من رمضان، وسادِنُها أفلح بن النَّضْرِ السُّلَميُّ[٣].

* * *

وبعث رسول الله ﷺ بالطُّفَيل بن عمرو الدوسي إلى ذي الكَفَّيْنِ صنمَ عَمْرو بن حُمَمَةَ الدَّوْسي فهدمه وحَرَّقَهُ بالنار[٤].

ذكر هدم سُواع صنم هُذَيل:

قال عمرو بن العاص: انتهيت إليه وعنده السادن فقال: ما الذي تريد منه؟ قلت:

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن» ٧/ ٢٠٥.

(٢) أخرجه مسلم (١٢١٧).

(٣) «الطبقات الكبرى» ٢/ ١٣٥، وانظر «السيرة» ٢/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧.

(٤) «الطبقات» ٢/ ١٤٥.

أَمرني رسول الله ﷺ بهدمه، فقال: لا تَقْدِرُ؛ إنه يمتنع عليك، فقلت له: وأنت إلى الآن في الباطل، وهل يسمع أو يبصر؟ ثم دنوت منه فَهدمته وقلت للسادن: كيف ترى؟ فقال: أسلمت لله رب العالمين[١].

ذكر مسير خالد إلى بني جَذِيمةَ:

لما افتتح رسولُ اللهﷺ مكّة بعث خالدَ بنَ الوليدِ داعياً ولم يبعثه مقاتلاً، فخرج حتى نزل على بني جَذيمة بن عامر بن مناة بن كنانة وهم على ماء لهم يقال له: الغُمَيصاء، وكانوا قد أصابوا في الجاهلية عمه الفاكه بنَ المغيرة وعوفاً أبا عبد الرحمن رضي الله عنه، فلما غشيهم أخذوا السلاح، فقال خالد: إن الناس قد أسلموا فَضعوا السلاح، وأبى جَحْدَم ـ رجل منهم ـ أن يضع سلاحه، وقال: يا بني جَذيمة، إنه خالد، ولا والله ما بعد وضع السلاح إلاَّ الإسارُ وما بعد الإسارِ إلاّ ضَرْبُ الأعناق، فقالوا: يا جَحْدم، تريد أن تُصيبَ دِماءَنا، فإن الناس قد أسلموا ووضعت الحرب وأَمِنَتِ الناس، فلم يزالوا به حتى أخذوا سلاحه، فنزل خالد وأمر برجال منهم فأسروا وضربت أعناقهم، فبلغ رسول الله ﷺ فقال: «اللَّهمَّ إنِّي أبرأُ إليك ممَّا عَمِلَ خالدُ بن الوليدِ» ثم دعا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال: «اخرُج إلى هؤلاءِ القومِ فدِ دِماءَهم وأَموَالَهمَ، واجَعْل أَمرَ الجاهليةِ تحت قَدمَيْكَ» وأعطاه مالاً، فخرج فوَدَى دماءهم وأموالهم حتى أعطاهم ثمنَ مِيْلَغَةِ الكلب، وبقيت بقيةٌ من المال فقال: أعطيكم هذا احتياطاً لرسولِ اللهﷺ فيما لا يعلم وفيما لا يعلمون فأعطاهم إياه، ثم قَدِمَ على رسول الله ﷺ فاستقبل القبلةَ ورفَع يديه حتى رُؤي بياض إبطيه، ثم قال: «اللَّهمَّ إنِّي أَبرَأُ إليكَ ممَّا فَعَل خالدُ بن الوليدِ»[٢].

وقال ابن سعد: لما رجع خالد من هَدْمِ العزى إلى رسول الله ﷺ وهو مقيم بمكة بعث إلى بني جَذيمة داعياً إلى الإسلام لا مقاتلاً، فخرج في ثلاث مئة وخمسين من المهاجرين والأنصار وبني سُليم، فقيل لبني جَذيمة: هذا خالد في المسلمين، فقالوا:

---

(١) «الطبقات» ٢/ ١٣٥ ـ ١٣٦.

(٢) «السيرة» ٢/ ٤٢٨ ـ ٤٣٠.

ونحن مسلمون قد صلَّينا وبَنينا المساجدَ وأذَّنّا فيها وصدَّقْنا محمداً ﷺ، فقال لهم خالد: ما أنتم؟ فقالوا: مسلمون، وقال: فما بالُ سلاحكم عليكم؟ قالوا: إن بيننا وبين قوم من العرب عداوةً فَخِفْنا أن تكونوا هم، فأخذنا السلاح لندفع عن أنفسنا، قال: فضعوا السلاح، فقال لهم جَحْدم: ويحكم يا بني جذيمة، والله إنه خالد، ولا يريد منا ما يراد بالمسلمين وقد عرفتموه، فما زالوا يكلِّمونه حتى ألقى سيفه وقالوا: نحن مسلمون وقد فتح الله مكة، فقال: والله ليأخذنَّكم بما تعلمون من الأحقاد القديمة، فقال خالد: استأسروا، فاستأسروا وأمر بهم فكُتِّفوا ودَفَع إلى كلِّ رجلٍ من المسلمين الرجلَ والرجلين فباتوا في وَثاقٍ،فكانوا إذا جاء وقت الصلاة كلَّموا المسلمين فيصلون ثم يربطون، فلما كان في السحر والمسلمون قد اختلفوا بينهم، فقائل يقول: إنّما أسرهم ليذهبَ بهم إلى النبيﷺ،وناس يقولون: إنما يختبرهم ليبلوَ طاعتهم، فلما كان وقت السحر نادى مناديه: من كان معه أسيرٌ فليدافّه، والمدافَّةُ الإجهاز عليه بالسيف، فأما بنو سُلَيْم فقتلوا كلَّ أسيرٍ في أيديهم، وأما المهاجرون والأنصار فأطلقوا أسراهم، وكان في الجيش عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فأطلق أسيره[1].

قال الإمام أحمد رحمة الله عليه: حدَّثنا عبد الرزاق، حدَّثنا مَعْمَر، عن الزهري، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه قال: بعث رسولُ الله ﷺ خالدَ بن الوليد إلى بني جَذيمة فدعاهم إلى الإسلام، فلم يجيبوا ولم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فقالوا: صَبَأْنا. وذُكر أنهم لما قدموا على النبي ﷺ أَخْبَروه بما صنع خالد، فرفع يديه وقال: «اللَّهمَّ إنِّي أَبرَأُ إليكَ ممَّا صَنَعَ خَالدٌ» مرتين[2].

وقال الواقدي: لما أرسل المهاجرون والأنصار أسراهم غضب خالد، فقال له أبو أسيد الساعدي: اتق الله يا خالد، والله ما كنا لنقتل قوماً مسلمين، قال: وما يدريك؟ فقال: قد سمعنا إقرارهم بالإسلام ورأينا مساجدهم[3].

ولما قدم خالد على النبيﷺ عاب عليه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ما صنع وقال:

---

(١) «الطبقات» ٢/ ١٣٦ ـ ١٣٧ .

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦٣٨٢) .

(٣) «المغازي» ٣/ ٨٧٧ .

يا خالد، أخذت القومَ بأمر الجاهلية قاتلك الله، وأعان عمر ﷺ على خالدٍ، فقال خالد: أخذتُهم بقتل أبيك، فقال عبد الرحمن: كذبت والله لقد قتلتُ قاتلَ أبي بيدي، واستشهد بعثمانَ ﷺ فقال: نعم، ثم قال عبد الرحمن: ويحك يا خالد، ولو لم أقتل قاتل أبي أكنت تقتل قوماً مسلمين بأبي في الجاهلية؟ فقال: من أخبرك أنهم أسلموا؟ فقال: أهلُ السَّرِيَّةِ كلُّهم[١].

ذكر من شهد الفتح ومدة مُقام النبي ﷺ:

شهد مع رسولِ الله ﷺ الفتح عشرةُ آلافٍ من المهاجرين والأنصار والقبائل، وقيل: شهده اثنا عشر ألفاً، وبُرَيدةُ بن الحُصَيْب في خمس مئة وخزاعةُ في خمس مئة.

وأقام بمكة تسع عشرة ليلة يَقْصُرُ، وإذا سلَّم من صلاته يقول: «يا أهل مكة أتموا صلاتكم فإنا قوم سَفْرٌ».

وقيل: أقام خمس عشرة ليلة، وقيل: عشرين ليلة، وكان قُدومُه لعشر ليالٍ بقين من رمضان، واستخلف على مكة عتَّابَ بنَ أَسِيْد بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أميراً وهو ابن ثماني عشرة سنة، وقيل: ابن عشرين، ومعاذَ بن جبل يعلِّمهم السُّنَنَ والفقه.

* * *

وفيها: كانت غزاةُ حُنَيْن[٢] في شوال، وحُنَيْن: اسم موضع، وقيل: جبل بتهامة، وقيل: وادٍ إلى جانب ذي المجاز: بينه وبين مكة ثلاث ليال.

وسبب هذه الغزاة، لما فرغ رسول الله ﷺ من مكة بلغه أن أشراف ثقيف وهوازن اتفقوا وجمَّعوا، وجعلت هوازن أمرها إلى مالك بن عوف النَّصْري وهو يومئذ ابنُ ثلاثين سنةً، وكان في ثقيف سيدان: قاربُ بن الأسود بن مسعود، وذو الخِمار سُبَيْع

(١) «المغازي» ٣/ ٨٨٠، وانظر «السيرة» ٢/ ٤٣١.

(٢) «السيرة» ٢/ ٤٣٧، و«المغازي» ٣/ ٨٨٥، و«الطبقات» ٢/ ١٣٨، و«أنساب الأشراف» ١/ ٤٣٨، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٧٠، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ١١٩، و«المنتظم» ٣/ ٣٣١، و«البداية والنهاية» ٤/ ٣٢٢.

ابن الحارث، ويقال له: الأحمر بن الحارث[١]، وتجمعت كلها إلى هوازن، وكان مالك بن عوف قد مضى بنفسه إلى الطائف ودعاهم إلى قتال رسول الله ﷺ فأجابوه، وخرج غيلان بن سلمة الثقفي ومعه ثقيف وعشرة من ولده على عشرة أفراس، ولم يحضرها من هوازن كعبٌ ولا كِلابٌ.

وحضرها دُرَيْدُ بن الصِّمَّةِ في بني جُشَم وهو ابن ستين أو سبعين ومئة سنة، شيخ كبير لا يراد منه إلا رأيُه ومعرفتُه بالحروبِ، وكان شيخاً مُجرّباً قد ذهب بصره وأَمْرُ الناسِ يومئذ ثقيفٍ وغيرها إلى مالك بن عوف النَّصْري، وأمرَ الناسَ فجاؤوا بأموالهم ونسائهم وأهلهم فنزلوا بأَوْطاس وادٍ عند حُنَيْن فعسكروا به، والأمدادُ تأتيهم من كل ناحية.

وأمرُ جُشَم إلى دريْد بن الصِّمَّةِ [بن بكر بن][٢] علقمة بن خُزاعة بن غزية بن جشم ابن معاوية بن بكر، وقد جعلوه في شجارٍ مثل الهودج يقاد به على بعير، فلما نزل الناس[٣] لمس بيده الأرض وقال: بأي واد أنتم؟ قالوا: بأوْطاس، فقال: نعم [مجال الخيل، لاحَزْنٌ ضَرِس، ولا سهل دَهِسٌ، مالي][٤] أسمع رُغاءَ البعير، ونُهاقَ الحمير، ويُعارَ الشاءِ، وخُوارَ البقر، وبكاء الصغير، قالوا: ساق مالكٌ مع الناس أولادَهم ونساءَهم وأموالهم، فقال: يا معاشر هوازن، أمعكم من بني كلاب أحد؟ قالوا: لا، قال: فمعكم من بني كعب بن ربيعة أحد؟ قالوا: لا، قال: فهل معكم من بني هلال بن عامر؟ قالوا: لا، فقال دريد: لو كان خيراً ما سبقتوهم إليه، ولو كان ذِكْراً وشرفاً ما تخلفوا، فأطيعوني وارجعوا وافْعلوا كما فعلوا، فأَبَوْا عليه، فقال: أين مالك؟ فدُعِيَ به فقال: يا مالك، إنك مقاتلٌ رجلاً كريماً وأنت رأسُ قومِكَ، إن هذا اليوم كائن له ما بعده من الأيام، يا مالك مالي أسمع رُغاء البعير، ونهاق الحمير، وخوار البقر، ويعار

(١) في «السيرة» ٢/ ٤٣٧ : وأخوه أحمر بن الحارث .

(٢) ما بين معقوفين زيادة من «تاريخ دمشق» ١٧/ ٢٣١ .

(٣) في «المغازي»: «الشيخ» .

(٤) ما بين معقوفين زيادة من «السيرة» و«المغازي»، و«الحزن»: المرتفع من الأرض، و«الضرس» الذي فيه حجارة محددة، و«دهس»: لين كثير التراب .

الشاء، وبكاء الصغير؟ فقال: سُقْتُ مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال دريد: ولم؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهلَه ومالَه وولده وشاءه حتى يقاتِلوا عنهم، فنفض دريد يده وقال: راعي ضأن، ماله وللحرب، وهل يردُّ المنهزمَ شيءٌ؟ إنها إن كانت لك، لم يَنْفَعْكَ إلا رجل بسيفه ورمحهِ، وإن كانت عليك، فُضِحْتَ في أهلك ومالك، يا مالكُ، إنك لن تصنع بتقديم بَيْضَةِ هوازن إلى نُحور الخيل شيئاً، فإن كانت لك لحِق بك مَنْ وراءَكَ،وإن كانت عليك ألفاكَ ذلك وقد أحرزت أهلَكَ ومالَكَ. فغضب مالك وقال: والله لا أُغَيِّرُ أمراً أَصنعُه، إنك قد كَبرتَ وكبر عملك وحدث بعدك من هو أبصر منك بالحرب. فقال دريد: يا معاشر هوازن، والله ما هذا لكم برأي، هذا فاضحكم في عورتِكم وممكِّنٌ منكم عدوَّكم، ولاحقٌ بحصن ثقيف وتارِككم، فانصرفوا ودعوه. فسلَّ مالكٌ سيفه ثم نكسه، وقال: والله يا معاشر هوازن لتُطيعُنَّني أو لأتكئنَّ على السيف حتى يخرج من ظهري، وكره أن يكون لدريد فيها ذكرٌ، فقال بعضهم لبعض: والله لئن عصينا مالكاً وهو شاب ليقتلن نفسه ونبقى مع دريد شيخ كبير لا قتال فيه، فأَجْمعوا رأيهم على مالك، فلما رأى ذلك دريدٌ قال: هذا يوم لم أشهده ولم أَغِبْ عنه: [من مجزوء الرجز]

يا ليتني فيها جَذَعْ
أخُبُّ فيها وأَضَعْ
أقود وَطْفاءَ الزَّمَعْ
كأنَّها شاةُ صَدَعْ

وخرج رسول الله ﷺ من مكّة في عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار والقبائل الذين شهدوا معه الفتح، وفي ألفين من أهل مكة من الطُّلقاء، وكان المشركون أربعة آلاف فقال قائل: لن نُغْلَبَ اليوم من قِلَّةٍ، فلما سمع النبي ﷺ ذلك ساءَه[1].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيرُ الأصحابِ أربَعةٌ، وخَيرُ السَّرايا

(١) «السيرة» ٢/ ٤٣٧ ـ ٤٤٠، و«المغازي» ٣/ ٨٨٥ ـ ٨٨٩.

أَربعُ مئةٍ، وخَيرُ الجيوشِ أَربعةُ آلافٍ، ولا يُغلبُ اثنا عَشرَ ألفاً من قِلَّةٍ كَلمتُهُم واحدةٌ»[١].

وقال أبو واقد الليثي: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين، وكان لكفارِ قريش ومَنْ سواهم شجرةٌ عظيمةٌ خضراءُ يقال لها: ذات أنواط، يأتونها في كل سنة يُعَلِّقون عليها أسلحتهم ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً، فبينا نحن نسيرُ مع رسول الله ﷺ أتينا شجرة عظيمة خضراء فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال: «اللهُ أَكبَرُ، قُلتُم والذي نَفسِي بيَدهِ كما قالَ قَومُ مُوسى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] لتَأخذُنَّ سَنَنَ مَن قَبلكم»[٢].

قال: وانتهى رسول الله ﷺ إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء، لعشر ليالٍ خَلَوْنَ من شوال[٣].

وقال أمية بن عبد الله بن عثمان بن عفان: بعث مالك بن عوف عيوناً ممن معه، فأتوه وقد تقطعت أوصالُهم فقال: ويلكم ما شأنكم؟ قالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خَيْلٍ بُلْقٍ، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فما ردَّه ذلك عن وجهه[٤].

ودعا رسول الله ﷺ ابنَ أبي حَدْرَدٍ الأسلميَّ فقال له: انطلق فادخل في الناس حتى تأتيني بأخْبارِهم، فانتهى إلى خِباء مالك فسمعه وهو يقول لأصحابه: إن محمداً لم يلق قط مثل المرة، وإنما لقي قوماً أغْماراً لاعِلم لهم بالحرب فيظهر عليهم، فإذا كان في السحر فصفوا مواشيكم وأبناءكم و نساءكم من ورائكم، ثم اكسروا جفون سيوفكم واحملوا حملة رجل واحد، فإنكم تلقونه بعشرين ألف سيف.

وهذا يدل على أنهم كانوا عشرين ألفاً.

ورجع ابن أبي حَدْرَدٍ إلى رسول الله ﷺ فأخْبَرهُ، فقال عمر: كذب ابن أبي حَدْرَدٍ، فقال ابن أبي حدرد: لئن كذَّبتني يا عمر، فلطالما كذَّبتَ بالحق، فقال عمر رضوان الله

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٧١٨).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢١٨٩٧).

(٣) «المغازي» ٣/ ٨٩٢.

(٤) «المغازي» ٣/ ٨٩٢.

عليه: أتسمع يا رسول الله ما يقول؟ فقال رسول الله ﷺ: «صَدَق، كُنتَ ضالاً فَهَداكَ اللهُ»[١].

وخرج من مكة رجالٌ فُرساناً ومُشاةً ينظرون لمن تكون الدائرة، فيصيبون من الغنائم، ولا يكرهون أن يكون الصَّدْمُ للنبي ﷺ وأصحابه.

وخرج أبو سفيان بن حرب في أثر العسكر، كلما مرّ بترس ساقط أو رمح أو متاع من متاع النبي ﷺ حمله على بعيره، والأزلام في كنانته حتى أَوْقَر جمله.

وخرج صفوان ولم يُسْلِم وهو في المدة التي جعلها رسول الله ﷺ له، وحكيم بن حزام، وحُويطب بن عبد العزى، وسُهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، وعبد الله بن أبي ربيعة، والكل ينظرون لمن تكون الدائرة وهم خلف الجيش[٢].

وعبّأ رسول الله ﷺ أصحابه صُفوفاً في السحر، وعقد الألوية ووضع الرايات مع أهلها، فكان لواءُ المهاجرين بيد علي رضي الله عنه، ولواء الخزرج بيد الحُبابِ بن المنذر، وقيل: مع سعد بن عُبادة، ولواء الأوس بيد أُسيد بن حُضَيْر، ورايةٌ بيد عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، ورايةٌ بيد سعد بن أبي وقاص، في كل بطن وقبيلة لواء أو راية[٣].

ذِكْرُ القتال:

انحدر رسولُ الله ﷺ بأصحابه وقد مضت مقدمته على تعبئته في وادي حُنين، وركب بغلته الدُّلدُل، وظاهَرَ بِدِرْعَيْنِ، ولبس المِغْفَرَ والبَيْضَةَ.

وقال أنس بن مالك: لما انتهينا إلى وادي حنين وهو وادٍ من أودية تِهامة، له مضايقُ وشُعَبٌ، فاستُقْبِلنا من هوازن بشيء، لاوالله إنْ رأيتُ مثله قط، من السَّوادِ والكَثرةِ، قد ساقُوا نِساءهم وأموالهم وأبناءَهم وذراريهم، ثم صَفُّوا صفوفاً، فجعلوا النساءَ فوق الإبل وراء صفوف الرجال، ثم جاؤوا بالإبلِ والبقرِ والغنمِ فجعلوها وراءَ ذلك لئلا يفرُّوا، فلما رأينا ذلك السوادَ حسبناه رجالاً، فبينا نحن في غَبَشِ الصُّبْحِ إنْ

(١) «المغازي» ٣/ ٨٩٣، وانظر «السيرة» ٢/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠.

(٢) «المغازي» ٣/ ٨٩٤ ـ ٨٩٥.

(٣) «المغازي» ٣/ ٨٩٥ ـ ٨٩٦.

شَعرنا إلا بالكتائب قد خرجت علينا من مضيق الوادي وشُعَبِهِ، فحملوا علينا حملة رجل واحد، فانكشفتْ أوَّل الخيول مُوَلِّيةً، وتَبعهم أهلُ مكة وتبعهم الناسُ منهزمين لا يَلْوُون على شيء، فسمعتُ رسولَ الله ﷺ والتفت عن يمينه ويساره والناس مُنْهزمون وهو يقول: «يا أَنصارَ اللهِ، وأَنصارَ رَسُولِهِ، أنا عبدُ اللهِ ورَسُولُه، أنا عبدُ اللهِ ورَسُولُه» ثم تقدم بحربته، فوالذي بعثه بالحق ما ضربنا بسيف ولا طعنًا برمح حتى هَزَمَهُم الله، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى العسكرِ وأمر بأن يُقتل كلُّ من قُدِرَ عليه منهم، وجعَلَت هوازن تؤول وثاب من انهزم من الناس[1].

وقال جابر بن عبد الله الأنصاري: سبق رسولَ الله ﷺ مالكُ بن عوف إلى الوادي، فانحطّ بهم في عَمايةِ الصبح، وثارت في وجوههم الخيلُ فشدَّت عليهم، وانكفأ الناس منهزمين، وانحازَ رسول الله ﷺ ذاتَ اليمين ثم قال: «أَيُّها الناسُ، هَلُمُّوا إليَّ، أنا رسُولُ اللهِ، أنا مُحمدٌ» ومعه رَهْطٌ من أهلِ بيته ورَهْطٌ من المهاجرين، والعباسُ آخذٌ برأسِ بَغْلته البيضاء، ورسولُ اللهﷺ عليها قد شَجرها، وثبت معه من أهلِ بيته علي ابن أبي طالب رضوان الله عليه، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأيمن بن عبيد، وهو ابن أم أيمن، وأسامة بن زيد، وثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر رضوان الله عليهما.

قال: ورجلٌ من هَوازن على جمل أحمر بيده راية سوداء على رأس رمحٍ طويل أمام هَوازن، وهوازن خلفه، إذا أدرك الناسَ طَعنَ برمحه، وإذا فاته الناسُ رفعَ رمحه لمن وراءه فاتبعوه، فلما انهزم مَنْ كان مع النبي ﷺ من جُفاة أهلِ مكة، تكلَّم رجالٌ منهم بما في أنفسهم من الضِّغْنِ[2].

وعن جابر قال: لما رأى رسول الله ﷺ يوم حنين ما رأى قال: «يا عباسُ اصرَخْ بالأَنْصار» فنادى العباس: يا أصحاب السَّمُرةِ، فأجابوه: لبيكَ لبيكَ، فجعل الرجلُ منهم يذهب ليعطف بعيره فلا يقدر عليه، فيقذف درعه ويأخذُ سيفَه وقوسه ثم يَؤمُّ الصوتَ، حتى اجتمع إلى رسول الله ﷺ منهم مئة، وأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه

(١) «المغازي» ٣/ ٨٩٧ ـ ٨٩٨، وفيها: تولّي وثاب.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٠٢٧).

وقال: «الآن حَميَ الوَطِيسُ».

وروى عبد الله بن بُرَيْدَةَ عن أبيه قال[١]: انكشف الناسُ يومَ حُنينٍ عن رسول الله ﷺ ولم يبق معه إلا رجل يقال له: زيد، أخذ بعنان بغلته الشهباء فقال له: «وَيحكَ ادعُ النَّاسَ»، فنادى: أيها الناسُ، هذا رسول الله ﷺ فلم يجبه أحد، فقال: «ادعُ الأنصارَ» فنادى: يا معشر الأنصار، فلم يجبه أحد، فقال: «خُصَّ الأوسَ والخزرجَ» فنادى: يا معشر الأوسِ والخزرج، فلم يجبه أحد، فقال: «ويحكَ ادعُ المهاجرينَ، إن للهِ في أعناقِهم بيعتَيْنِ وهذا رسُولُ الله ﷺ يَدْعوهُم» فأقبل منهم ألف قد كسروا جفون سيوفهم، فأتوا رسول الله ﷺ ثم مشوا قُدُماً حتى فتح الله على يديه[٢].

وعن العباس رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنين التقى المسلمون والمشركون، فولَّى المسلمون يومئذ، ولقد رأيتُ رسول الله ﷺ وما معه إلا أبو سفيان بن الحارث آخذ بثَفَرِ[٣] بغلة رسول الله ﷺ فأخذتُ بلجامها وكنت رجلاً صيِّتاً، فقال: «يا عباسُ، اصرخ بالأنصار: يا أصحاب السَّمُرةِ» فناديت، فأقبلوا كأنهم الإبلُ إذا حنَّت إلى أولادها، يقولون: لبَّيكَ لبَّيكَ، وثاب الناس، فقال رسول الله ﷺ: «الآنَ حميَ الوَطيسُ» ثم أخذ بيده من الحصى فرماهم به ثم قال: «انْهَزمُوا ورَبِّ الكَعبَةِ» فانهزموا، وركَضَ رسول الله ﷺ بغلته خَلْفَهم[٤].

وقيل: لما ناداهمُ العباسُ رضي الله عنه رجعوا وهم يقولون: الكرة بعد الفرة، ورسول الله ﷺ يقول: «اللَّهمَّ إنِّي أَنشُدكَ وعْدَكَ، اللَّهمَّ لا ينبغي لهم أَن يظهروا علينا»[٥].

وقال هشام بن الكلبي: ثبت مع رسول الله ﷺ ثلاث مئة رجل من أهل بيته وغيرهم.

وسأل رجلٌ البراءَ بن عازب فقال: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حُنَيْن؟ فقال

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ١٢٩.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» ٧/ ٤١٧، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/ ١٨١، وقال: رواه البزار ورجاله ثقات.

(٣) الثفر: بالتحريك، السَّيْر في مؤخر السرج.

(٤) «المغازي» ٣/ ٨٩٨ ـ ٨٩٩.

(٥) «المغازي» ٣/ ٨٩٩.

البراء: لكن رسول الله ﷺ لم يفِرَّ؛ كانت هوازن ناساً رُماةً، وإنّا لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسِّهام، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان بن الحارث آخذٌ بلجامها، ورسول الله ﷺ يقول: «أنا النَّبيُّ لا كَذِبْ أَنا ابْنُ عَبدِ المُطَّلِبْ». أخرجاه في «الصحيحين»[١].

وقال سلمة بن الأكوع: لما غَشَوا رسول الله ﷺ نزل عن بغلته ثم قبض قَبْضةً من الأرض واستقبلهم بوجهه وقال: «شاهت الوجوه» فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ الله عينيه تراباً بتلك القبضة، فولوا منهزمين، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين[٢].

وقال البلاذري: قال العباس رضي الله عنه: كنت آخذاً يومَ حنين بحكمَة بغلةِ رسول الله ﷺ، وأقبل نفر من كِنانة يريدونه فدنا منه أحدهم، فاحتضنت الرجلَ وصحت بأقرب موالي رسول الله ﷺ إليَّ وقلت: اضربه ولا تتق مكاني ولا تُبالي أَيَّنا قُتِلَ، فقتله المولى، ثم جاء آخرُ يريدُه ففعلت به كذلك، حتى قتلنا ستة أنفس من القوم، فقبَّل رسول الله ﷺ وجهي.

وفي يوم حنين يقول العباس: [من الطويل]

نصرنا رسولَ الله في الحرب سبعة ... وقد فرَّ من قد فرَّ عنه فأقشعوا

وثامِنُنا لاقى الحِمامَ بسَيْفِهِ ... بما مسَّه في الله لا يتوجع

يعني نفسه وابنه الفضل وعلي بن أبي طالب وأبا سفيان بن الحارث وأسامة بن زيد وأبا رافع وأيمن بن أم أيمن[٣].

ذكرُ أقوالِ أهلِ الأضْغَانِ:

قال أبو سفيان بن حرب: ما تَنْتهي هزيمتهُم إلاّ إلى البحر، وأخرج الأزلامَ من كِنانتهِ يستقسم بها، فقال له رجل مِن أَسلم يقال له أبو مغيث: أما والله لولا أني سمعت

(١) أخرجه البخاري (٤٣١٧)، ومسلم (١٧٧٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧٧).

(٣) المذكورون هنا سبعة فقط، والثامن اختُلف فيه، انظر أنساب الأشراف ٣/ ٧ ـ ٨، والاستيعاب ١/ ٢٤٥.

رسول الله ﷺ ينهى عن قتلك لقتلتك.

وصرخ كَلَدَةُ بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية وهما مشركان: ألا بَطَلَ السحرُ اليومَ، فقال له صفوان: أُسْكت فضَّ الله فاك، فوالله لأن يَرُبَّني رجلٌ من قُريش أحبُّ إلي من أن يربَّني رجلٌ من هوازن[١].

وقال سهيل بن عمرو: لا يجتبرُها محمد وأصحابه، فقال عكرمة بن أبي جهل: إن هذا ليس بقول، إنما الأمر بيد الله ليس إلى محمد منه شيء، إن أُديل عليه اليوم فإن له العاقبة غداً، فقال له سهيل: والله إن عهدك بخلافه لحديث، فقال له: يا أبا يزيد إنا كنا والله نُوضِعُ في غير شيء وعقولنا عقولنا، نعبد حجراً لا يضر ولا ينفع[٢].

وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة: خرجتُ مع رسول الله ﷺ إلى حُنين وقد أضمرت غِرَّته وقلت: عسى أن أصيب بثأرِ قريش، فلما اختلطَ الناسُ اخترطتُ سيفي وقصدتُه، فلما رفعت يدي رفع لي شُواظٌ من نارٍ كالبرق فسقط السيف من يدي، وناداني رسول الله ﷺ وقال: «أعيذُك بالله يا شيبة» أَطْلعه على ما كان في نفسي، فقلت: أشهد أنك رسول الله، وأحببتُه، فهو أحب إلي من سمعي وبصري[٣].

ذِكْرُ هزيمة المشركين:

كانت الهزيمة أولاً على هوازن، فخلَّفوا الذَّراري، ثم تنادوا: يا حماة السوء أُذكروا الفضائح، فتراجعوا فانكشف المسلمون. فقال الطُلقاءُ بعضهم لبعض: اخذُلوه فهذا وقته، فانهزموا، فهم أول من انهزم.

وقال جابر بن عبد الله: لما انكشف الناسُ والله ما رجعت راجعةُ هزيمتهم حتى وجدنا الأسرى عند رسول الله ﷺ مُكتَّفين، ولما انكشفَ الناسُ قال رسول الله ﷺ لحارثة بن النعمان: يا حارثة كم ترى من الرجال الذين ثبتوا؟ قال: فحزَرْتُهم فكانوا مئة رجل[٤].

---

(١) انظر «السيرة» ٢/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤.

(٢) «المغازي» ٣/ ٩١٠ ـ ٩١١.

(٣) «المغازي» ٣/ ٩٠٩ ـ ٩١٠.

(٤) «المغازي» ٣/ ٩٠٠.

وكان من دعاء رسول الله ﷺ لما انهزم الناس وبقي في المئة الصابرة: «اللهمَّ لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان» فقال له جبريل عليه السلام: لقد لُقِّنْتَ الكلماتِ التي لَقَّنَ اللهُ موسى يوم فلق البحر أمامه وفرعون خلفه(١).

ويقال: إن المئة الصابرة يومئذ ثلاثة وثلاثون من المهاجرين، وسبعة وستون من الأنصار.

وقصد أبو دجانة الرجلَ الذي كان على الجمل الأحمر وبيده رايةٌ سوداء على رمح طويل، وكان قد أكثر القتل في الناس، فعرقَبَ جَمَله وشدَّ عليه هو وعلي فقتلاه(٢).

وبلغت هزيمةُ المسلمين مكّة، ثم تراجعوا، فأسهم لهم رسول الله ﷺ جميعاً، وجعلت أم سُليمٍ تقول: يا رسول الله أرأيت هؤلاء الذين فروا عنك وخذلوك، لا تعْفُ عنهم إذا أمكنكَ الله منهم، اقتلهم كما تقتل هؤلاء المشركين، فقال: «يا أم سُلَيْمٍ قد كفى الله»(٣).

ولقد قَتل أبو طلحة يومئذ عشرين بطلاً وسَلَبهم.

ولما حمل المسلمون على المشركين قتلوهم وأسرعوا إلى قَتْل الذُّريَّة [فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «ما بالُ أقوامٍ ذَهَب بهم القَتل حتى بَلغَ الذُّريّة] أَلا لا تُقْتَلُ الذُّريةُ» قالها ثلاثاً، فقال أُسيد بن حضير: أليس هم أولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: «أوَليسَ خيارُكُم أولادَ المُشرِكينَ، كلُّ نَسَمةٍ تُولَدُ على الفِطْرةِ، حتى يُعْرِبَ عنها لسَانُها، فأَبَواها يهوِّدَانها ويُنَصِّرانِها»(٤).

وقال جبير بن مُطْعِمٍ: لما تراءينا نحن والقوم رأينا سواداً لم نر مثله قط، فأقبل مثل الظلمة السوداء من السماء حتى أظلمت علينا وعليهم وسدت الأفق، فنظرنا فإذا وادي حنين يسيل بنمل أسود مبثوث لم نشك أنه نصر أيَّدَنا الله به(٥).

---

(١) «المغازي» ٣/ ٩٠١.

(٢) «المغازي» ٣/ ٩٠٢.

(٣) «المغازي» ٣/ ٩٠٣ ـ ٩٠٤.

(٤) «المغازي» ٣/ ٩٠٤ ـ ٩٠٥، وما بين معقوفين زيادة منه، وأخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٥٨٩) من حديث الأسود بن سريع.

(٥) «السيرة» ٢/ ٤٤٩، و«المغازي ٣/ ٩٠٥، و«دلائل النبوة» ٥/ ١٤٦.

وقال رجل من المشركين: التقينا نحن وأصحاب محمد فلم يقفوا لنا حَلْبَ شاةٍ، فلما كشفناهم جعلنا نخترقهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء ـ يعني رسولَ الله ﷺ ـ فلاقانا رجال بيضُ الثياب، حسانُ الوجوه، فقالوا لنا: شاهت الوجوه، فرجعنا ورَكِبونا[١].

وحُكيَ أيضاً عن رجل يقال له: شجرة من بني نصر أنه قاله بعدما انهزموا، وبلغ رسول الله ﷺ فقال: «تلك الملائكةُ».

وقال الواقدي: نزلت الملائكة يوم حنين، سيماهم عمائم حمر قد أرخوها، فنظر إليهم الكفار فانهزموا[٢].

وقال مالك بن أوس بن الحدَثان: حدثني عِدَّةٌ من قومي أنهم رأوا يومئذ رجالاً بيضاً على خيلٍ بُلْقٍ، عليهم عمائم حمرٌ، أرخوها بين أكتافهم بين السماء والأرض، كتائب كتائب، ما يستطيع أحد من الرعب ينظرُ إليهم[٣].

وهربت ثقيف بعد أن قُتِلَ منهم مئة رجل تحت راياتهم حتى دخلوا حصن الطائف.

وقال أبو قتادة: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين فلما التقينا كانت للمسلمين جولة، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين، فاستدرت له فأتيته من ورائه فضربته بالسيف على حَبْلِ عاتقه، فأقبل علي فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت، ثم أدركه الموت فأَرْسلني، فلقيتُ عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه فقال: ما بال الناس؟ فقلت: أَمْرُ اللهِ، ثم رجع الناسُ وجلس رسولُ الله ﷺ فقال: «مَن قَتَلَ قَتيلاً فَلهُ سَلَبُه إذا كانت له بيِّنَةٌ» فقمت وقلت: من يشهدُ لي، ثم جلستُ،وقمت ثانياً وثالثاً فقال: «مَالَكَ يا أبا قَتادَةَ؟» فقصصت عليه القصة، فقال رجل من القوم: صدق يا رسول الله وسَلَبُهُ عندي، فأرضه من حقه، فقال أبو بكر: لاها اللهِ إذاً، لا يَعْمِدُ إلى أَسَدٍ من أُسْدِ الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سَلَبَه، فقال رسول الله ﷺ: «صدق فأعطِهِ إيَّاه» قال: فأخذت الدرع فابتعت به مَخْرَفاً، فإنّه لأول مال تأثَّلْتُه في الإسلام.

(١) «المغازي» ٣/ ٩٠٦.
(٢) «المغازي» ٣/ ٩٠٥.
(٣) «المغازي» ٣/ ٩٠٦.

أخرجاه في «الصحيحين»[١].

وهذا الحديث يتضمن فتوى أبي بكر رضوان الله عليه بحضرة رسول الله ﷺ.

ومرّ رسولُ الله ﷺ على امرأة مقتولةٍ، وكان قد قدَّم خالداً في مقدِّمتهِ مع بني سُلَيم فأرسل إليه وقال: «لا تَقتُلنَّ امرأةً ولا عَسِيفاً»[٢] أي: أجيراً.

وفي رواية: «ما كانت هذه تقاتل فلم قتلت».

وجاءته الشيماءُ بنت الحارث بن عبد العزى أُخته من الرضاعة بعد أن أتعبوها من المشي وهي تقول: والله إني أخت صاحبكم، ولا يُصَدِّقُونها، فلما دخلت على رسول الله ﷺ قالت: يا محمد إني أختك من الرضاعة، فقال: «وما علامة ذلك»؟ قالت: عضضتني في إبهامي هذه وأنا مُتورِّكَتُكَ بوادي السرور ونحن نرعى بَهْمَ أبيك وأبي، وأَرَتْهُ مكان العضَّةِ، فعرف العلامة وقام لها قائماً وبسط لها رداءه ثم أجلسها عليه، ورحَّب بها وسألها عن أمه وأبيه فأخبرته بموتهما، فدمعت عيناه، وخيَّرها بين المقام عنده وبين الرجوع إلى أهلها، وأسلمت فأحسن إليها ووهبها ثلاثة أَعْبُدٍ وجاريةً، فأحدهم يقال له: مكحول، فزوجوه الجارية[٣]. ثم عادت إلى رسول الله ﷺ بالجِعِرّانةِ فأعطاها نَعَماً وشاءً[٤].

وهرب مالك بن عوف إلى حصن الطائف.

ذِكْرُ الغَنائمِ:

كانت الإبل أربعاً وعشرين ألفاً، والبقر ثلاثة آلاف، والغنم أربعين ألفاً، ومن الخيل ألفان، ومن السبايا ستة آلاف، وقيل عشرة آلاف، ومن الفِضَّة شيء كثير، فأمر رسول الله ﷺ بإصدار الجميع إلى الجِعِرّانةِ ليعودَ إلى الطائف، وولَّى مسعودَ بنَ عمرو القاري ذلك، وقيل: استعمل على السبي مَحْمِيةَ بن جَزْءٍ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٤٢)، ومسلم (١٧٥١).

(٢) «المغازي» ٣/ ٩١٢، وأخرجه أحمد في «مسنده» (١٧٦١٠) من حديث حنظلة الكاتب.

(٣) «السيرة» ٢/ ٤٥٨، و«المغازي» ٣/ ٩١٣ ـ ٩١٤.

(٤) «المغازي» ٣/ ٩١٤.

وقال الحَريش بن هلال القريعي من شعراء الحماسة[١]: [من الوافر]

شَهِدْنَ مع النبيِّ مُسَوَّماتٍ ... حُنَيْناً وَهْيَ دامية الحوامي[٢]
ووقعة خالدٍ شهدَتْ وحكَّت ... سنابكَها على البلد الحرامِ[٣]
نُعرِّضُ للسيوف إذا التقينا ... وُجوهاً لا تُعَرَّضُ للِّطامِ
ولستُ بخالعٍ عَنِّي ثِيابي ... إذا كَرَّ الكُماةُ ولا أُرامي
ولكنِّي يجولُ المُهرُ تحتي ... إلى الغاراتِ بالعضْبِ الحُسامِ

ذكر من استشهد من المسلمين في ذلك اليوم:

أيمن بن عُبَيْد بن زيد، وقيل: ابن عمرو[٤] الخزرجي، وهو ابن أم أيمن مولاةِ رسولِ الله ﷺ، وهو أخو أسامة بن زيد رضي الله عنهما لأمه، وهو من الطبقة الثالثة، وثبت يوم حنين مع رسول الله ﷺ ووقاه بنفسه، وقُتِلَ بين يديه، ويقال له: الحبشي رضي الله عنه.

آبي اللَّحْمِ، واسمه الحُوَيْرثُ بن عبد الله، وقيل: اسمه عبد الله بن عبيد بن مالك، من بني غِفار، وهو من الطبقة الثالثة من المهاجرين، وإنما سمي آبي اللحم لأنه أبى أن يأكل من اللحم ما ذبح على النصب والأصنام.

سراقةُ بن الحارث بن عدي الأنصاري من بني العَجْلان.

أبو عامر الأشعري، واسمه عُبَيْد، وقيل: عبد الله، وقيل: عبيد الله بن وهب، حليف بني تميم رهطِ أبي بكر الصديق رضوان الله عليه، وهو عم أبي موسى الأشعري، قال أبو نعيم: قتله دُرَيْد بن الصِّمة. وهو وهم لأن دريداً كان شجاعاً شيخاً كبيراً عاجزاً عن القتال، وإنما قتله سلمة بن دريد.

وقال أبو موسى الأشعري: لما فرغ رسولُ الله ﷺ من حُنَيْن بعث أبا عامر على جيش إلى أَوْطاس، فلقي دُرَيْدَ بن الصمة، فقُتِلَ دريدٌ وهزم الله أصحابه.

---

(١) الأبيات في الحماسة، وفي «السيرة» ٢/ ٤٣٣ هي للحجاج بن حكيم السلمي.

(٢) المسومات: المعلمات. والحوامي: ما فوق الحافر.

(٣) سنابكها: مقدم أطراف الحوافر.

(٤) نسبه في «الطبقات» ٥/ ٣٦٨: أيمن بن عبيد بن زيد بن عمرو بن بلال... بن خزرج.

قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر فرُميَ أبو عامرٍ في رُكبته، رماه جشمي بسهم فأثبته في ركبته، فانتهيت إليه وقلت: يا عم، من رماك؟ فقال: ذاكَ قاتلي الذي رماني تَراه؟ فلحقت الرجل فلما رآني ولّى هارباً، فاتَّبَعْتُه وجعلت أقول: ألا تستحي، فوقف فالتقينا، فقتلته ثم رجعت إلى أبي عامر فقلت له: قد قَتَل الله صاحبك، فقال: انزع هذا السهم فنزعته فنزا منه الماءُ، قال: فانْطَلِقْ إلى رسولِ الله ﷺ وأقرِئه مني السلام واسأله أن يستغفر لي، ثم لِتَخْلُفْني على الناس، ومكث يسيراً ومات، فلما رجعتُ إلى رسول الله ﷺ دخلت عليه وهو في بيت على سرير مُرْمَل وعليه فِراش وقد أثر رِمال السرير في ظهره وجنبه، فأخبرته خبر أبي عامر، فدعا له واستغفر، فقلت: ولي، فقال: «اغفرِ اللَّهمَّ لعبدِ اللهِ بنِ قيسٍ ذَنبَهُ، وأَدخِلْهُ مُدْخَلاً كريماً يومَ القيامةِ»[(١)].

وقال الواقدي: بارز أبو عامر عشرة فقتل تسعة، وبرز له العاشر وهو مُتَعمِّمٌ بعمامة صفراء فقال أبو عامر: اللهمَّ اشهد، فقال الرجل: اللهمَّ لا تشهد، فضرب أبا عامر فأثبته، فحملوه وبه رَمَقٌ، واستخلف أبا موسى الأشعري ففتح الله عليه، وقتل قاتلَ أبي عامر وجاء إلى رسول الله ﷺ فاستغفر لأبي عامر، فقال له أبو موسى: يا رسول الله، فهذا لأبي عامر فادع لي، فقال: «اللَّهمَّ اغفِر لأبي موسى، واجْعَلهُ في أَعْلَى أُمَّتي»[(٢)].

يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب، جمح به فرسه، فقتله المشركون.

ذكر من قتل من الكفار:

قتل منهم زيادة على المئة، وقيل: تسعون، وقيل: سبعون، فمن أعيانهم:

دُرَيد بن الصِّمَّة[(٣)]، واسم الصمة: معاوية، وكنية دريد: أبو قُرة الجُشَمي، وهو الذي خَطَبَ الخنساء ابنةَ عمرو بن الشريد فلم تُجِبْهُ فقال: [من الوافر]

كفاك الله يا ابنة آل عمرو ... من الفتيان أمثالي ونفسي

أَتَزْعمُ أنني شيخ كبيرٌ ... وهل أَنْبأْتُها أني ابنُ أمسِ

(١) أخرجه البخاري (٤٣٢٣)، ومسلم (٢٤٩٨).

(٢) «المغازي» ٣/ ٩١٥ ـ ٩١٦.

(٣) انظر ترجمته في «تاريخ دمشق» ١٧/ ٢٣١.

ودريد يعد في الشعراء الفرسان، ووفد على الحارث بن أبي شَمِر الغَسَّاني.

وقال أبو حاتم: كان مالك بن عوف يخرج بدريد في الحروب يتيمَّن برأيه، ولم يخالفه إلا في هوازن.

ذكر مقتله:

يقال: إن أبا عامر الأشعري قتله، فرماه ابنه سلمة بن دريد بسهم فقتل أبا عامر.

وقال الواقدي: لما انهزم الناس يوم حنين أتوا الطائفَ، وعسكر ناس منهم بأَوْطاس، وتوجه بعضهم نحو نَخْلَةَ، فبعث رسولُ اللهﷺفي آثارهم، فأدرك ربيعةُ بن رُفَيْعْ بن وهبان السلمي دريدَ بن الصمة، فأخذ بخِطام جمله وهو يظن أنه امرأة وهو في شِجارٍ له[١]، فأناخ الجملَ، وإذا فيه شيخ كبير ابن ستين ومئة وهو لا يعرفه، فقال له دريد: ما تريد؟ قال: قتلك، قال: وما تريد إلى المُرْعِشِ الكبير الفاني الأَدْرَدِ[٢]، فقال الفتى: ما أُريد إلى غيره ممَّن هو على مِثْلِ دينه، فقال له دُرَيد: من أنت؟ فانتسب له، وضربه بسيفه فلم يُغْنِ شيئاً، فقال دريد: بئس ما سلَّحتكَ أُمُّكَ، خذ سيفي من وراء الرَّحْل في الشِجار واضرب به وارفع عن العِظام واخفض عن الدماغ، فإني كنتُ كذلك أقتُلُ الرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قَتَلْتَ دُرَيْد بن الصمة، فربَّ يوم قد منعت فيه نساءك، فلمّا ضَرَبَهُ تكشَّف عَجُزُه وبطونُ فَخْذَيْه فإذا بها مثلُ القراطيس من ركوب الخيل، فلما رجع ربيعةُ إلى أمه أخبرها فقالت: والله لقد أعتق دُرَيْدٌ أُمَّهاتٍ لك ثلاثاً في غَداة واحدة وجزَّ ناصية أبيك، فقال الفتى: لم أشعر[٣].

فقالت عَمْرة[٤] في قتل ربيعةَ دريداً: [من الوافر]

جَزى عني الإلهُ بني سُلَيْمٍ ... وأَعقَبَهم بما فَعلوا عَتاقِ[٥]

وأَسْقانا إذا قُدنا إليهم ... دِماءَ خِيارِهم عندَ التلاقِي

---

(١) الشجار: هو مركب مكشوف دون الهودج.

(٢) الأدرد: الذي لا سن له.

(٣) «المغازي» ٣/ ٩١٤ـ٩١٥، وما بين معقوفين زيادة منه، وانظر «السيرة» ٢/ ٤٥٣ـ٤٥٤.

(٤) هي عمرة بنت دريد بن الصمة، والأبيات في «السيرة».

(٥) في السيرة: وعقتهم بما فعلوا عَقاق.

فربَّ عظيمةٍ دافَعْتَ عنهم وقد بَلغَت نُفوسُهم التَّراقِي
وربَّ مُنَوِّهٍ بكَ من سُلَيْمٍ أَجَبْتَ وقد دعاكَ بلا رِماق
وربَّ كريمةٍ أَعْتَقْتَ منهم وأُخرى قد فَكَكْتَ مِنَ الوَثاق
فكانَ جَزاؤُنا مِنْهم عُقوقاً وهمّاً ماعَ منهُ مُخُّ ساقِ

وهرب سَلَمةُ بنُ دريد مع مالك بن عوف، فلما طلع مالك على ثَنيَّةٍ قال لأصحابه: قفوا حتى يمضيَ ضُعفاؤكم ويلحقوا بإخوانكم، ووقف حتى مضوا[1].

واختلفوا في سِنِّ دريد، فقيل: ستون ومئة سنة، وقيل: مئة وسبعون سنة، وقيل: مئتا سنة وعِشْرون سنةً.

وقال أبو عبيدة: كان دُريد ميمونَ النقيبة، غزا مئة غزوة، وأدرك أوَّلَ الإسلام ولم يسلم حتى قُتِلَ كافراً.

وكانت بنو يربوع قتلوا الصِّمةَ، فأوقع بهم دريدٌ فقتلهم.

وكان له إخوة: عبد الله وعبد يغوث وقيس وخالد بنو الصِّمة، وأمهم جميعاً رَيْحانةُ بنت معدي كَرِب الزبيدي أخت عمرو، وكان الصِّمة سباها[2] ثم تزوجها، فأولدها بنيه، وفيها يقول أخوها عمرو: [من الوافر]

أَمِنْ ريحانةَ الداعي السميعُ يُؤرِّقني وأصحابي هجوع

وأما عبد الله فيقال له: العارض، أغار هو ودريد على نَعَمٍ لقيس فاستاقوها، فلما كانوا ببعض الطريق نزل عبد الله في مكان، فقال له دريد: لا تفعل، فجاءت قيسٌ فأحاطت بهم، فأول من قتل عبد الله وكان أشجع إخوة دريد، فقال دريد: [من الطويل]

أَمَرْتُهُمُ أَمْري بِمُنْعَرَجِ اللِّوى فلم يستبينوا الرُّشْدَ إلا ضُحى الغَدِ
فلما عَصَوني كنتُ منهم وقد أرى غَوايتهم وأَنَّني غَيْرُ مُهْتَدِ
وما أنا إلاَّ من غَزِيَّة إنْ غَوت غَوَيْتُ وإن تَرْشُد غَزيةُ أَرْشُدِ
فقلت لهم ظُنّوا بأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ سَراتُهم في الفارسيّ المُسَرَّدِ

(١) «المغازي» ٣/ ٩١٦.

(٢) في النسخ: «سماها»، والمثبت من الأغاني ١٠/ ٤.

وإن يـكُ عَـبْـدُ الله خَـلّـى مـكـانَـه فـمـا كـان وَقَّـافـاً ولا طـائِـشَ اليَـدِ
كـمـيـشُ الإزارِ خـارجٌ نـصـفُ سـاقِـه بَـعـيـدٌ مـن الآفـات طـلاَّعُ أَنْـجُـدِ
قـلـيـلُ التَّـشـكِّـي لـلـمـصـيـبـاتِ حـافـظٌ مـنَ الـيـومِ أعـقـابَ الأحـاديـثِ فـي غَـدِ
صَـبـا مـا صَـبـا حـتَّـى عـلا الـشَّـيـبُ رَأْسَـه فـلـمَّـا عـلاه قـال لـلـبـاطـل ابـعُـدِ

وأوَّلها:

أَرَثَّ جـديـدُ الـحَـبْـل مِـن أُمِّ مَـعْـبَـدِ بـعـاقـبـةٍ وأخـلـفـت كـلَّ مـوعـد

وأُمُّ معْبَد: امرأة دريد، لما جزع على أخيه عاتبت وصغَّرت أمر أخيه عبد الله، فألحقها بأهلها وكان عبد الله يكنى أبا فُرغان، وأبا ذُفافَة، وأبا أوفى.

واليوم الذي قتل فيه يسمى: يوم اللِّوى، واليوم الذي ظهر فيه دريد يسمى: يوم الدلائل، فإنه أخذ بثأر أخيه وقتل سادات غطفان واستَقْراهم حيّاً حيّاً.

وأما عبدُ يغوث بن الصِّمة فقتله بنو مُرَّة.

وأما قَيسُ بن الصمة فقتله بنو كلاب.

وأما خالد بن الصمة فقتله بنو الحارث بن كعب[1].

وأنزل الله تعالى في قصة حنين ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ الآية [التوبة: ٢٥].

غزاة الطائف [2]

وسار رسولُ الله ﷺ من فَوْرٍ على تعبئته وقد تحصَّن القومُ بحصنهم، وقدَّم خالدَ بن الوليد في مقدَّمتِهِ.

وكان عروةُ بن مسعود وغَيْلانُ بن سَلَمة بجُرَشَ يتعلَّمان عمل الدباباتِ والمجانيق لأجل حصنهم[3].

---

(١) الأغاني ١٠/ ٥ .

(٢) «السيرة» ٢/ ٤٧٨ ، و«المغازي» ٣/ ٩٢٢ ، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ١٤٥ ، و«تاريخ الطبري» ٣/ ٨٢ ، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ١٥٦ ، و«المنتظم» ٣/ ٣٤١ ، و«البداية والنهاية» ٤/ ٣٤٥ .

(٣) «السيرة» ٢/ ٤٧٨ ، و«المغازي» ٣/ ٩٢٤ .

وسلك رسول الله ﷺ على نَخْلةِ اليمانية ثم على لِيَّةَ، وابتنى بها مسجداً بيده، وأصحابهُ ينقلون إليه الحجارة.

وأُتي يومئذٍ برجلٍ من بني ليث قتلَ رجلاً من هُذيلٍ فسلَّمه إلى هذيل فقتلوه، وكان أوَّلَ دمٍ أُقيد في الإسلام، وحرقَ قصرَ مالك بن عوف بلِيَّة ولم يكن به أحدٌ، ومالك بن [عوف في][1] حصن ثقيف، ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريباً من الطائف، فجاءهم النَّبْلُ كأنَّه الجرادُ، حتى أُصيبَ من المسلمين أناسٌ، فقال له الحُبابُ بن المنذر: إن كان نزولك يا رسول الله عن أمرٍ، سلَّمنا، وإن كان عن غيرِ أمرٍ، فالرأيُ أن نتأخَّر، فقال: «انظروا مَكاناً مُرتَفِعاً» فنزلوا في موضع مسجد الطائف خارجاً من القرية، وأبو محجن يرمي من فوق الحصن بمعابل[2] كأنها الرماحُ ما يسقُطُ له سَهْمٌ، وخرج من الحصنِ امرأةٌ ساحرةٌ فاستقبلت الجيش بعورتِها، يدفعون بذلك عن حصنهم[3].

وشاور رسولُ الله ﷺ أصحابه في ذلك، فقال له سلمان: قد كُنَّا بفارسَ ننصُبُ المجانيق [وإن لم يكن المنجنيق][4] طال الثواءُ، فأمره بعملهِ ونصبه على الحصن، وعمل يزيدُ بن ربيعةَ دبابتين، ونثر رسول الله ﷺ حَسَكاً من عيدانٍ حول حصنهم، ودخل المسلمون تحت الدبابتين وهما من جلود البقر، وقاتلوا ثم رجعوا إلى جدار الحصن ليحصروه، فرمى عليهم القوم سكك الحديد المُحْماةَ بالنار فأحرقوا الدبابتين، وخرج بعض المسلمين منهما، فسُمِّيَ: يوم الشَّدْخَةِ، ورماهم القومُ بالنَّبْلِ فقتلوا جماعةً، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعنابهم وتحريقها، فنادى منادي القوم: يا محمدُ، لمَ تقطعُ أموالَنا؟ إما أن تأخذَها إن ظَفِرت علينا، وإمّا أن تدَعَها لله والرَّحِمِ، فقال رسول الله ﷺ: «إنِّي أدَعها لله والرَّحمِ» فتركها[5].

وتقدَّم أبو سفيان بن حرب والمُغيرةُ بن شعبةَ إلى ثقيفٍ فقالا: أمِّنونا حتى نتكلَّم،

---

(١) ما بين معقوفين زيادة لتوضيح النص.

(٢) المعابل: جمع مِعبَلَة، وهي: نصل طويل عريض.

(٣) «المغازي» ٣/ ٩٢٥ ـ ٩٢٦.

(٤) ما بين معقوفين زيادة من «المغازي».

(٥) «المغازي» ٣/ ٩٢٧ ـ ٩٢٨.

فأَمّنوهما. فدَعَوا نساءً من قريشٍ ليخرجنَ إليهما وهما يخافان السبيَ عليهن، منهن ابنة أبي سفيان كانت عند عروة بن مسعود ولم يكن عروةُ حاضراً، والفِراسِيَّةُ بنتُ سُويد بن عمرو بن ثعلبة عند قارِب بن الأسود، وامرأةٌ أُخرى(١).

وكان رجلٌ يقومُ على الحِصْنِ فيقول: روحوا يا رعاءَ الشاء، يا عبيد محمد، فقال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ روّحه إلى النار» فرماه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بسهم فوقع في نَحْرِهِ، فهوى من الحصن ميِّتاً، فَسُرَّ رسول الله ﷺ بذلك(٢).

ورمى أبو محجن عبدَ الله بنَ أبي بكرٍ رضي الله عنهما، ثم أُخرجَ السهمُ من الجرحِ وبرِئ واندمل، وأمسك أبو بكر [السهمَ عنده، وتوفي عبدُ الله، وقدمَ أبو محجن في خلافةِ أبي بكر]، فأخرج له السهم وقال: هل تعرف هذا يا أبا محجن؟ فقال: [كيف] لا أعرفُه وأنا بَرَيتُ قدحه ورِشْتُه ورميتُ به ابنك، والحمد لله الذي أكرمه بيدي ولم يُهنِّي بيده(٣).

ونادى منادي رسول الله ﷺ: أيما عبدٍ نزل إلينا من الحصن فهو آمن، فنزل جماعةٌ منهم: أبو بكرة نُفَيعُ بن الحارث بن مسروح، وكان [عبداً] للحارث بن كَلَدةَ، وكُنِّي بأبي بكْرة لأنه نزل من الحصنِ في بكْرةٍ، فسلَّمه رسول الله ﷺ إلى عمرو بن العاص يعلِّمُه القُرآنَ والسُّنَنَ، وكذا فعل بالباقين؛ دفع إلى كلِّ واحدٍ من المسلمين رجلاً يمونُه ويعلِّمه(٤). فلما أسلم هل الطائف تكلَّموا فيهم ليُرَدُّوا إلى الرِّقِّ، فقال رسول الله ﷺ: «أولئك عتقاء الله، لا سبيلَ لكم عليهم» فبلغ ذلك من أهل الطائفِ.

وقال ابن إسحاق: ردّ رسول الله ـ ﷺ ـ كل عبدٍ إلى مولاه لمّا أَسلم مواليهم.

وقال عُيَيْنةُ بن حصنٍ: يا رسول الله، ائذن لي حتى آتي الحصن فأُكلِّمهم، فأذن له فجاءهم وقال: أَدنو منكم وأنا آمِن؟ فعرفه أبو محجن فقال: أَدْنُوه، فدخل الحصنَ فقال: فداكم أبي وأُمي، واللهِ لقد سرَّني منكم ما رأيتُ، واللهِ إنْ في العربِ أحدٌ مثلكم، واللهِ ما لاقى محمد مثلكم قطُّ، ولقد ملَّ المُقامَ فاثبتوا في حِصْنِكم فإنه حصين، وسلاحكُم كثيرٌ. فلما خرج قالت ثقيف لأبي مِحْجَن: إنا كَرِهْنا دخوله علينا،

(١) «المغازي» ٣/ ٩٢٩، وانظر «السيرة» ٢/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤.

(٢) «المغازي» ٣/ ٩٢٩ ـ ٩٣٠.

(٣) المغازي ٣/ ٩٢٦، وما بين حاصرتين منه.

(٤) «المغازي» ٣/ ٩٣١ ـ ٩٣٢.

وخَشينا أن يُخبِرَ محمداً بخَللٍ رآه في حصنِنا. فقال أبو محجن: لا تخافوا، فليس على محمدٍ أشدُّ منه وإن كان معه. فلمّا رجع إلى رسول الله ﷺ قال له: ما الذي قُلْتَ لهم؟ قال: قلتُ لهم: ادخلوا في الإسلامِ؛ فواللهِ لا يبرحُ محمدٌ عُقْرَ داركم حتى تنزِلوا، فخُذوا لأنفسكم أماناً، فإنه قد نزل ساحة غيركم: بني قينقاع والنضير وقُريظة وخيبر أهل العِدَّةِ والحَلْقةِ، فقال له رسول الله ﷺ: كذبتَ، قلتَ لهم كذا وكذا، الذي قال، فقال عُيينةُ: أَستغفرُ اللهَ، فقال عمر رضي الله عنه: دعْني أَضرب عُنُقَه، فقال رسول الله ﷺ: «لا يتحدَّثُ الناسُ أني أَقتلُ أصحابي». وأَغلظ له أبو بكر رضي الله عنه وقال: ويحك يا عُيينة، إنّما أنت أبداً تُوضعُ في الباطل، لنا مِنْكَ من يوم بني النضير وقريظة وخيبر والخندق، تُجْلِبُ علينا وتقاتِلُنا بسيفك، ثم أسلمتَ كما زعمتَ فتحرِّضُ علينا عدوَّنا؟! فقال: أستغفرُ اللهَ وأتوب إليه، لاأعود إليه أبداً[1].

ودخل رسول الله ﷺ على أم سلمة رضي الله عنها وعندها عبد الله بن أبي أمية والمخنث يقول له: إن فتح الله عليكم الطائفَ غداً فعليك بابنة غَيْلان، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، فسمعه رسول الله ﷺ فقال لأم سلمة: «لا يَدخُلْ هذا عليكِ»[2].

ذكر رحيل رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضوان الله عليه وهو محاصرٌ ثقيفاً: «يا أبا بكر إني رأيت كأنني أُهْدِيَت لي قَعْبَةٌ مملوءة زُبْداً، فنقرها ديكٌ فهرَاق ما فيها». فقال: يا رسولَ الله، ما أظنك تدرك منهم ما تريد، فقال رسول الله ﷺ: «ولا أنا، ما أرى ذلك».

ثم إن خولة بنت حكيم بن أمية بن الأوقص السُّلَمِيَّةَ امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه قالت: يا رسول الله أعطني إن فتح الله عليك الطائف حُلِيَّ باديةَ بنتِ غَيْلان بن سلمة أو حُلِيَّ الفارعةِ بنت عَقيل و كانتا من أجمل نساء ثقيف، فقال لها رسول الله ﷺ: «وإنْ لم يَكُن أُذِنَ لي في ثَقيفٍ»، فخرجت إلى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فأخبرته،

(١) «المغازي» ٣/ ٩٣٢ ـ ٩٣٣ ، و«الطبقات» ٦/ ١٧٧ ـ ١٧٨ .

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٣٥)، ومسلم (٢١٨٠) .

فدخل على رسول اللهﷺ فسأله فقال: «نَعَم» فقال: ألا أُوذِنُ الناسَ بالرحيل؟ قال: «بَلَى» فأذَّن فيهم بالرحيل[١].

وبعث رسولُ الله ﷺ حنظلةَ بن الربيع ابن أخي أكثم بن صيفي إلى أهل الطائف ينظرُ هل يريدون الصلح أم لا ؟ فدخل عليهم فسألهم فقالوا: الموتُ دونَ ذلك، فرجع إلى رسول الله ﷺ.

ونادى سعيد ابن عمرو بن عِلاجِ الثقفي من الحصن: ألا إن الحي لمقيم، فقال عيينة: أجل والله، مَجَدةٌ كِرامٌ، فقال له رجل من المسلمين: قاتلك الله يا عيينة تمدح قوماً مشركين وقد جئت تنصر رسول الله ﷺ ؟! فقال: إني والله ما جئت أقاتل معكم ثقيفاً، ولكن أردت إذا فتح محمد الطائفَ أن أُصيب من ثقيف جاريةً فأتَّطِئَها لعلها أن تلد ذكراً، فإن ثقيفاً قومٌ مذاكِير[٢].

فلما ولّى عيينةُ قال رسول الله ﷺ: «هذا الأحمق المطاعُ»[٣].

وقال أبو هريرة: لما مضت خمسةَ عَشَرَ يوماً من حصارهم استشار رسول الله ﷺ نوفلَ بن معاوية الدِّيلي فقال: «مَا تَرَى؟» قال: يا رسول الله ثَعْلَبٌ في جحر إن أقمت عليه أخَذْتَه، وإن تركته لم يضرك شيئاً، قال: ولم يؤذن له في فتحها، فأذَّن عمر في الناس بالرحيل فضَجُّوا، فقال رسول الله ﷺ: «فاغدُوا على القِتال» فغدَوْا فأصاب المسلمين جراحاتٌ، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّا قَافِلُونَ إنْ شاءَ اللهُ» فسرُّوا بذلك وجعلوا يرحلون ورسول الله ﷺ يضحك[٤].

وأقام رسول الله ﷺ بضعاً وعشرين ليلة ـ والله أعلم ـ وكل ذلك يصلي ركعتين.

وقال أبو إسحاق الثعلبي: حاصر الطائف إلى آخر شوال. فلما دخل ذو القعدة وهو شهرٌ حرامٌ لا يَحِلُّ القتال فيه انْصَرفَ عنهم، وكان معه من نسائه أم سلمة وأخرى قيل: هي زينب بنت جحش.

---

(١) «السيرة» ٢/ ٤٨٤ .

(٢) «السيرة» ٢/ ٤٨٥.

(٣) المغازي ٣/ ٩٣٧، والطبقات ٦/ ١٧٨.

(٤) «المغازي» ٣/ ٩٣٦ ـ ٩٣٧ .

ولما رحل عن الطائف قيل له: ادع عليهم، فقال: «اللهمَّ اهد ثقيفًا وائتِ بهم»[١] فاستجاب الله دعاءه.

ذِكْرُ المُسْتَشْهد من المسلمين:

سعيد بنُ سعيد بن العاص بن أمية، وعُرْفُطةُ بن حباب[٢] بن حبيب، وقيل: الحباب بن جُبير، وعبد الله بن أبي بكر الصديق ﷺ رمي بِسَهْمٍ فمات بالمدينة منه، وعبد الله بن أبي أمية مات من رميةٍ رُميها يومئذٍ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، والسائب ابن الحارث [بن قيس بن عدي، وأخوه عبد الله بن الحارث، وجليحة بن عبد الله بن محارب، والحارث][٣] بن سهل بن أبي صَعْصَعة، والمنذر بن عبد الله بن وَقْش بن ثعلبة، ورُقَيْم بن ثابت بن زيد بن لَوْذان، وقيل: ويزيد بن زمعة بن الأسود، جمح به فرسه إلى حصن الطائف فقتلوه، وثابت بن ثعلبة[٤] بن زيد بن حَرام.

ومما قيل في الطائف من الشعر لما فرغ النبي ﷺ من مكة وحنين قول كعب بن مالك قبل نزوله على الطائف[٥]: [من الوافر]

قضينا من تِهامةَ كلَّ رَيْبٍ ... وخيبرَ ثم أَجْمَمْنا السُّيوفا
نُخبِّرُها ولو نطقت لقالت ... قواطِعُهنَّ دوساً أو ثقيفا
فلستُ لمالك إن لم يزركم ... بساحة داركم منها ألوفا
وننتزع العُروشَ ببطن وَجٍّ ... وتُترك دارُكم منكم خُلوفا
نجاهد لا نبالي من لقينا ... أَأَهلكنا التِّلادَ أَم الطريفا
بأمر الله والإسلام حتى ... أقَمنا الدين مُعْتَدِلاً حنيفا

(١) أخرجه الترمذي (٣٩٤٢)، وأحمد في «مسنده» (١٤٧٠٢) من حديث جابر ﷺ.

(٢) ضبطه ابن حجر في «الإصابة» ١/ ٣٠١ عند ذكر والده الحباب: بضم المهملة والموحدتين الأولى خفيفة. وفي ترجمته ٢/ ٤٧٥ قال: وضبط ابن اسحاق أباه بجيم ونون، و ابن هشام بمهملة مضمومة بعدها موحدة.

(٣) ما بين معقوفين زيادة من «السيرة» ٢/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧، و«المغازي» ٣/ ٩٣٨.

(٤) هو: ثابت بن الجزع، واسم الجذع ثعلبة. «الإصابة» ١/ ١٩٠.

(٥) الأبيات في «السيرة» ٢/ ٤٧٩.

ذكر رجوع النبي ﷺ إلى الجِعِرّانةِ:

خرج من الطائف، ففي منحدره إلى الجِعِرَّانةِ لقيه سراقة بن مالك بن جُعْشُم الذي تبعهم في طريق المدينة لما هاجر النبي ﷺ، قال سراقة: فدفعت الكتابَ الذي كتبه لي أبو بكر وناديتُ: أنا فلان وهذا كتاب رسول الله ﷺ فعرفني، فقال: «أُدْنُ» فدنوت، فقال: «هذا يَومُ وَفَاءٍ وبِرٍّ» فأسلمت وسقت إليه الصدقة[١].

وانتهى رسول الله ﷺ إلى الجِعِرَّانة والغنائم والسبي بها، وقد اتخذ للسبي حظائر يستظلون بها من حر الشمس، وكان السبي ستة آلاف، فأمر رسول الله ﷺ بشر بن سفيان الخزاعي أن يقدم مكة فيشتري للسبي ثياباً يكسوهم بها ففعل[٢].

ذِكْرُ ما فَرَّق من السَّبْيِ:

أعطى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه جارية منهن فوطئها بالملك بعد أن حاضت. وأعطى صفوان بن أمية أخرى، وعلي بن أبي طالب أخرى يقال لها: رَيْطة، وأعطى عثمان رضوان الله عليه أخرى اسمها زينب بنت خُناس[٣] فوطئها فكرهته، وأعطى عمر رضي الله عنه جاريةً فأعطاها لابنه عبد الله، فبعث بها إلى أخواله بني جمح بمكة ليصلحوها حتى يطوف بالبيت ثم يعود إليها قال: فبينا أنا أطوف بالبيت وفي عزمي أن أعود إليها فأطأها، فلما خرجتُ من المسجد وإذا بالناس يَشْتَدُّون، فقلت: ما لهم؟ قالوا: رُدَّ سَبْيُ هوازن، فقلت لأهلها: دونكم إياها، فأخذوها.

وأعطى جبير بن مطعم جارية فلم يطأها، وأعطى طلحة بن عبيد الله وأبا عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام رضي الله عنهم جواري فوطئوهن، وهذا كله بحنين، فلما رجع إلى الجِعِرانة أقام يتربص أن يقدم عليه وفد هوازن[٤].

---

(١) أخرجه الحميدي في «مسنده» (٩٠٢)، والطبراني في «الكبير» (٦٦٠٢)، وانظر «المغازي» ٣/ ٩٤١.

(٢) «المغازي» ٣/ ٩٤٣.

(٣) «في «السيرة» ٢/ ٤٩٠، و«المغازي» ٣/ ٩٤٤: بنت حيان.

(٤) «المغازي» ٣/ ٩٤٣ ـ ٩٤٤.

وقال أنس: نادى رسول الله ﷺ يوم أوطاس: «أَلاَ لا تُوطأُ الحَبَالى حتى يَضعْنَ، ولا غَيرَ الحَبَالى حتى يَستبرِئْنَ بحَيضَةٍ»[١].

وعن سلمة بن الأكوع قال: رخص رسول الله ﷺ في متعة النساء عام أوطاس ثلاثة أيام ثم نهى عنها[٢].

وعنه عن رسول الله ﷺ: «أَيُّما رجل وامرَأةٍ تَوافَقَا، فَعِشْرَةُ ما بَينهُما ثَلاثُ لَيالٍ، فإنْ أَحَبَّا أَن يَتَزايَدا، أَو يتَّارَكا» فما أدري أشيء كان لنا خاصة أم للناس عامة[٣].

ذكر وفد هوازن:

لما أصاب رسولُ الله ﷺ ما أصاب من أموال هوازن وسباياهم أدركه وفدهم بالجِعِرَّانة وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، نحن الأهل والعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يَخْفَ عليك، وقام خطيبهم زهير بن صُرَد فقال: يا رسول الله، إنّما في الحَظائر من السبايا خالاتُك وعماتُك وحواضِنُك اللاتي كن يكْفُلْنَك، ولو كنا ملَكَنا ابن أبي شمر الغسَّاني أو النعمان بن المنذر، ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك رجونا بِرَّهما وعائِدتَهما وعَطْفَهما، وأنت خير المكفولين، وأنشده[٤]: [من البسيط]

أُمنُنْ علينا رسولَ اللهِ في كَرَمٍ ... فإنك المرءُ نَرْجوه ونَدَّخِرُ
أُمنُنْ على بيضةٍ اِعْتاقَها قَدَرٌ ... مُمَزَّقٌ شملُها في دَهْرها غِيَرُ
أُمنُنْ على نِسوَةٍ قد كنتَ تَرْضَعُها ... إذ فُوكَ يَملؤُهُ مِن مَحضِها دِرَرُ
اللاَّئي إذْ كنتَ طفلاً كنت تَرضَعُها ... وإذ يزينُك ما تأتي وما تذرُ
ألا تداركها نعماءُ تَنشُرُها ... يا أرجَحَ الناس حِلْما حين يُختَبَرُ
لا تجعلنّا كمن شالت نَعامتُه ... واستبقِ منّا فإنا معشر زُهُر
إنا لنَشْكُرُ آلاءً وإن قَدُمَتْ ... وعندنا بعد هذا اليوم مُدَّخَر

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٥٧) من حديث أبي سعيد الخدري، ولم نقف عليه من حديث أنس.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٦٥٥٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥١١٩).

(٤) الأبيات في «المغازي» ٣/ ٩٥٠ ـ ٩٥١.

فقال رسول الله ﷺ: «نِساؤُكُم وأَبناؤُكُم أَحبُّ [إليكم أم أموالكم؟» فقالوا: يا رسول الله خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا، بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا، فهو أحبُّ] (١) إلينا، فقال: «مَا كانَ لي ولبَني عَبدِ المطَّلبِ فهوَ لكُم، وإذا صَلَّيتُ الظهرَ بالناسِ فَقُومُوا وقُولُوا: إنا نَستَشفِعُ برسُولِ اللهِ ﷺ إلى المُسلِمينَ وبالمُسلمينَ إلى رسُول الله ﷺ في أَبنائِنَا ونِسائِنَا»، فلما صلوا الظهر فعلوا ما أمرهم به، فقال رسول الله ﷺ: «ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم» وقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لله ورسوله، وقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال العباس بن مرداس السلمي: أما أنا وبنو سليم [فلا، فقالت بنو سليم:] بلى ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا، فقال رسول الله ﷺ: «من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ستة فرائض من أَوَّلِ فَيءٍ نُصيبُه» فقال المسلمون: رضينا وسلمنا، ودفعوا ما كان بأيديهم من السبي إلى أهاليهم (٢).

وكان عيينةُ قد اختار من السبي عجوزاً كبيرة وقال: هذه أم الحي، لعلهم أن يُغلوا بفِدائها وعسى أن يكون لها في الحي نسبٌ، فجاء ابنها إليه فقال: هل لك في مئة من الإبل؟ قال عيينة: لا، فانصرف وجعلت العجوز تقول لابنها: دعه فوالله ليتركني بغير فداء، فرجع الفتى إليه فقال عيينة: هل لك فيما دعوتني إليه؟ قال: لا أزيدك على خمسين ناقة، فقال عيينة: خذها بغير شيء لا بارك الله لك فيها، لا حاجة لي إليها، فقال ابنها: هي عُريانةٌ، فأَخَذ لها منه شملة (٣).

وكان رسولُ الله ﷺ قال: «إن قدرتم على بجاد ـ رجلٍ من بني سعد بن بكر ـ فلا يفوتنكم» وكان قد أحدث حدثاً فظفر به المسلمون فأتوا به، وكانت الشيماء أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، فسألته فيه فأطلقه لها (٤).

ولما ردَّ رسول الله ﷺ على هوازن نساءهم وأبناءهم اتبعه الناس يقولون: يا رسول الله اقسِم علينا فيئنا، حتى اضطروه إلى شجرة فانتزعَتْ رِداءهُ، فقال: «أَيُّها

(١) ما بين حاصرتين مستدرك من «السيرة» ٢/ ٤٨٩.

(٢) «السيرة» ٢/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠، و«المغازي» ٣/ ٩٥٠ ـ ٩٥٢.

(٣) «المغازي» ٣/ ٩٥٢ ـ ٩٥٤، وانظر «السيرة» ٢/ ٤٩٠.

(٤) «تاريخ الطبري» ٣/ ٨٠ ـ ٨١.

الناسُ، رُدُّوا عليَّ رِدَائي، فَوَالذي نَفسِي بيَدِهِ، لو كانَ لَكُم بِعَدَدِ شَجَرِ تِهامَةَ نَعماً لقَسمتُه عليكُم، ثم ما ألفيتُموني بَخيلاً ولا جَباناً ولا كذَّاباً»[١].

حديث الغار:

عن أبي سعيد قال: أصبنا سبايا يوم حنين، فكنا نلتمس فِداءهُنَّ، فسألنا رسول الله ﷺ عن العزل فقال: «اصنَعُوا ما بَدا لَكُم، فما قَضَى اللهُ فهو كائنٌ، ولَيسَ مِن كلِّ الماءِ يكونُ الولدُ». انفرد بإخراجه مسلم[٢].

وقال أبو سعيد: كانت اليهود تزعم أن العزلَ: المؤْودةُ الصُّغْرى، فقال رسول الله ﷺ: «كذبتِ اليَهودُ، ولو أَرَادَ اللهُ أنْ يَخلقَهُ لم يَستَطعْ أحَدٌ أنْ يَصرِفَهُ». أخرجه الإمام أحمد رحمة الله عليه في «المسند»[٣].

ذكر ما أعطى رسول الله ﷺ المؤلفة قلوبهم:

أعطى أبا سفيان بن حرب مئة بعير، وابنه معاويةَ مئة بعير، وحكيمَ بن حِزام مئة بعير، والنَّضْرَ بن الحارث[٤] بن كَلَدَةَ بن علقمة مئة بعير، والعلاء بن جارِيةَ الثقفي مئة من الإبل، وسهيل بن عمرو مئة من الإبل، وحويطب بن عبد العزى مِئةً من الإبل، وسهل بن مُطعِم مئة من الإبل، وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر دون المئة[٥].

وأعطى مَخْرمة بنَ نوفل الزهري وعُمير بن وهب الجُمَحي وهشام بن عمرو، وأعطى سعيد بن يَربوع بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل.

وأعطى عبّاس بن مِرداسَ السُّلمي أباعِرَ[٦] فسخطها، وعاتب رسول الله ﷺ فقال:

وإيـقـاظِـيَ الـقـومَ أَن يـرقُـدُوا ... إذا هَـجَـعَ الـنـاسُ لـم أَهْـجَـعِ

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٦٧٧٥) من حديث جبير بن مطعم.

(٢) أخرجه مسلم (١٤٣٨) (١٣٣) واللفظ لأحمد في «مسنده» (١١٤٣٨).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١١٤٧٧).

(٤) ويقال: الحارث بن الحارث، كما في «السيرة» ٢/ ٤٩٣.

(٥) في «السيرة» ٢/ ٤٩٣، و«المغازي» ٣/ ٩٤٦: أنه أعطاه مئة بعير.

(٦) في النسخ: «أبا عامر» والمثبت من السيرة» ٢/ ٤٩٣.

فأصبحَ نَهْبي ونَهْبُ العُبَيـ ـدِ بينَ عُيينةَ والأَقْرعِ
وقد كنتُ في الحَربِ ذا تُدْرَإٍ فلم أُعْطَ شيئاً ولم أُمْنَعِ
إلا أفائِلَ أُعْطِيتُها عديدَ قوائمِها الأربعِ
فما كان حِصنٌ ولا حابِسٌ يفوقان مِرداسَ في مَجْمَعِ
وما كنت دون امرئٍ منْهما ومن تَضَعِ اليومَ لا يُرْفَعِ

فقال رسول الله ﷺ: «اذهَبُوا فاقْطَعُوا لِسَانَهُ» فزادوه حتى رضي[١].

وقال الواقدي: أخذ بلال بيده ليذهب به فيقطع لسانه فقال: يا معاشر المسلمين انقطع لساني، و أعطاه مئة من الإبل[٢].

وقال صفوان بن أميَّة: أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين وإنه لأبغض الناس إليَّ، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليَّ[٣].

وقيل لرسول الله ﷺ: أعطيت عيينة والأقرع وتركت جعيل بن سُراقة الضَّمْري؟! فقال: «والذي نَفسِي بيَدِهِ، لَجعيلٌ أَحَبُّ إليَّ من طِلاعِ الأرض كلها مثل عيينةَ والأَقرعِ، ولكنِّي تَأَلَّفتُهما لِيُسْلِما، وَوَكَلْتُ جُعَيْلاً إلى إسلامِهِ»[٤].

و**جُعيل** من الطبقة الثانية من فقراء المهاجرين، شهد أُحداً وما بعدها وكان صالحاً[٥].

وكان رسول الله ﷺ قد غنم فضة كثيرة، فقال أبو سفيان بن حرب: يا رسول الله أصبحت أكثر قريش مالاً! فتبسم، فقال: أعطني من هذا المال، فقال لبلال: «يا بلال زِنْ لأبي سفيان أربعين أوقية» فأعطاه ومئة من الإبل، فقال أبو سفيان: فداك أبي وأمي إنك لكريم، لقد حاربتك فنعم المُحارَبُ كنت، ثم سالمتك فنعم المسالَمُ كنت، جزاك الله خيراً[٦].

---

(١) «السيرة» ٢/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤، والأفائل جمعُ أفيل، وهي الصغار من الإبل.
(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ٥/ ١٦٢، والخبر فيه أوضح مماهنا.
(٣) «الطبقات» ٦/ ١١٢.
(٤) «السيرة» ٢/ ٤٩٦، و«المغازي» ٣/ ٩٤٨.
(٥) انظر «الطبقات» ٤/ ٢٣١، وفيه: اسمه جعال.
(٦) «المغازي» ٣/ ٩٤٤ ـ ٩٤٥.

وقال حكيم بن حزام: سألت رسول الله ﷺ بحنين مئة من الإبل فأعطانيها، ثم سألته مئة فأعطانيها، ثم سألته مئة فأعطانيها، ثم قال: «يا حكيمُ بنَ حزامٍ، إنَّ هذا المالَ خَضِرَةٌ حُلْوٌ، فَمن أَخَذَه بسخَاءِ نفسٍ، بُورِكَ له فيهِ، ومَن أَخَذَه بإشرافٍ، لم يُبارَكْ له فيهِ، وكانَ كالذي يَأكُلُ ولا يَشبَعُ، واليدُ العُليا خَيرٌ مِنَ السُّفلَى، وابْدَأْ بمَن تَعُولُ».

فكان حكيم يقول: والذي بعثك بالحق لا أَسْأَلُ أحداً بعدك شيئاً. وكان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يقول: أيها الناس إني أشهدكم على حكيم أنِّي أدعوه إلى عطائه فيأبى أن يأخذه[١].

قال الواقدي: والثابت أن رسولَ الله ﷺ أعطى هؤلاء من الخُمْسِ[٢].

وأَمَر زيدَ بنَ ثابتٍ بإحصاءِ الغَنائم ففعل، وكان أبو حذيفة العدوي يتقاسم الغنم[٣].

ذكر معاتبة الأنصار رسول الله ﷺ:

قال أبو سعيد الخُدري: لما أصاب رسولُ الله ﷺ الغنائمَ يوم حُنينٍ، وقسم في المنافقِين من قريش وسائر العرب ولم يعطِ الأنصار شيئاً، وَجَدوا في نفوسهم وقالوا: لَقِيَ واللهِ رسولُ الله ﷺ قومه، فقال سعدُ بن عبادة: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنْصار قد وجدوا في نفوسهم عليك، قال: «ولم»؟ قال: لأنك قسمت الغنائم في قريش والعرب، ولم يك فيهم من ذلك شيء، قال: «فأَينَ أنتَ من ذلكَ يا سعدُ»؟ قال: ما أنا إلاّ امرؤ من قومي، قال: «فاجْمَعْ لي قَومَكَ»، فجمعهم في حظيرة، فقام رسول الله ﷺ خطيباً فحَمِدَ الله وأثنى عليه وقال:

«يا مَعاشِرَ الأنصارِ، أَلَم آتكُم ضُلَّالاً فَهَداكُمُ اللهُ بي؟ وعَالةً فَأَغناكُمُ اللهُ بي؟ وأَعداءً فَأَلَّفَ بينَ قُلُوبكُم بي»؟، قالوا: بلى، قال: «أَلاَ تُجيبُونَني» قالوا: وما نقول؟

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٢)، ومسلم (١٠٣٥)، وأما قوله: «وابدأ بمن تعول» فهو قطعة من حديث أخرجه البخاري(١٤٢٧)، ومسلم(١٠٣٤)من حديث حكيم بن حزام أيضاً، وهذا اللفظ بأجمعه من المغازي ٣/ ٩٤٥.

(٢) «المغازي» ٣/ ٩٤٨.

(٣) انظر «المغازي» ٣/ ٩٤٩.

قال: «قُولُوا، ولو شِئتُم لَقُلتُم فُصُدِّقْتُم: جِئتَنَا طرِيداً فَآوَيناكَ، وعَائِلاً فآسَيْنَاكَ، وخائفاً فأَمَّناكَ، ومَخذْولاً فنَصرناكَ»، فقالوا: المنُّ لله ورسوله. فقال: «أَوجَدْتُم في لُعاعَةٍ مِنَ الدُّنْيا أَلَّفْتُ بها قوماً ليُسْلِموا، وَوَكَلْتُكُم إلى إسلامِكُم؟ أَلاَ ترضَوْنَ أَن يذهبَ الناسُ إلى رحالهم بالشَّاءِ والبَعيرِ، وتذهبون إلى رِحالِكُم برسولِ اللهِ ﷺ، والذي نَفسي بيَدِهِ، لو أنَّ الناسَ سَلَكُوا شعْباً وَسَلكتِ الأنصارُ شِعْباً، لَسَلكْتُ شِعْبَ الأَنْصارِ»، فبكى القوم حتى اخْضَلَّتْ لِحاهُم، وقالوا: رضينا بالله ورسوله[١].

ذكر إسلام مالك بن عوف النّصري:

[وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن، وسألهم عن مالك بن عوف: مافعل؟][٢] فقالوا: هو بالطائف، فقال: «أخبروه فإن أتاني مُسلماً رَدَدْتُ عليه أهلَه ومالَه وأعطيتُه مئةً من الإبل» فأُخْبِرَ مالكٌ فخرج من حصن الطائف فحبسوه[٣]، فأمر براحلته فهيئت، وأمر بفرس له فأُتي به، فخرج ليلاً حتى لحق برسولِ الله ﷺ بالجِعِرانة أو بمكَّةَ، فردّ عليه ماله وأهله، وأعطاه مئة من الإبل، واستعمله على من أسلم من قومه[٤].

* * *

وفي هذه الغزاة قال ذو الخُويصرة واسمه ـ حُرقوص بن زهير ـ لرسول الله ﷺ: اعدل فما عدلت.

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: أتى ذو الخويصرة التميمي إلى رسول الله ﷺ وهو يقسم الغنائم بحنين فقال: يا محمد، قد رأيتُ ما صنعتَ، فقال: «وكيفَ»؟ قال: لم أَرَكَ عَدَلْتَ، فغضب رسول الله ﷺ وقال: «إذا لم يكُنِ العَدلُ عِندي، فَعِندَ مَن يَكُونُ؟!» فقال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه، فقال: «دَعهُ، فإنَّه سيكونُ لهذا

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١١٧٣٠).

(٢) ما بين معقوفين زيادة من «السيرة».

(٣) هكذا جاء النص في نسخنا، وجاء في «السيرة»: فخرج إليه من الطائف، وقد كان مالك خاف ثقيفاً على نفسه، أن يعلموا أن رسول الله ﷺ قال ما قال، فيحبسوه، فأمر ....

(٤) «السيرة» ٢/ ٤٩١.

شِيعَةٌ يتعَمّقون في الدِّين حتى يمرُقونَ منه كما يُمرقُ السّهمُ مِن الرَّمِيَّة»[١].

وذكر الطبري: أنّ ذا الخُوَيصرة قال لرسول الله ﷺ في مالٍ بعثه علي عليه السلام من اليمن إلى رسول الله ﷺ[٢].

[عن أبي سعيد الخدري قال: بعث علي من اليمن إلى رسول الله ﷺ][٣] بذهبة في أديم مقروظٍ لم تُحَصَّلْ من تُرابها، فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة: بين زيدِ الخيل، والأقرعِ بن حابس، وعيينةَ بن حِصْن، وعلقمةَ بن عُلاثَةَ أو عامرِ بن الطُّفَيْلِ، فوجدَ من ذلك بعضُ الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: «أَلاَ تَأْمَنُوني وأنا أَمينُ مَنْ في السَّماءِ يَأْتيني خَبرُها صَباحاً ومَسَاء»؟. ثم أتاه رجل غائرُ العينينِ مشرفُ الوجنتينِ، ناشِزُ الجبهةِ، كثُّ اللحيةِ، مشمِّرُ الإزارِ، محلوقُ الرأسِ فقال: اتّقِ الله يا رسولَ الله، فرفع رأسه إليه وقال: «وَيحكَ، أليسَ أَحَقُّ أَهلِ الأَرض أن يَتَّقيَ اللهَ أَنَا؟» ثم أَدْبَرَ، فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله، أَلاَ أَضْرِبُ عُنُقَه؟ فقال رسول الله ﷺ: «فَلَعلَّه يكونُ قد صلَّى» فقال خالد: رُبَّ مصَلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله ﷺ: «إنِّي لم أُوْمَر أَن أُنَقِّبَ عن قلُوبِ النَّاسِ، ولا أَشقّ بُطُونَهم» ثم قال ﷺ: «سَيخرُجُ مِن ضِئضِئِ هذا.. وذكره»[٤].

فصل في المؤلفة قُلوبهم

فمنهم: الأَقْرع بنُ حابس التَّميمي المجاشعي، جُبَيْر بن مُطْعِم بن عدي، الحُرُّ بن قيس، الحارث بن هشام بن المغيرة، حويطب بن عبد العزى، حكيم بن حزام، حكيم ابن طليق، خالد بن قيس، سعيد بن اليربوع، سهيل بن عمرو، صَخر بن حرب، صفوان بن أمية، العلاء بن جارية الثقفي، العباس بن مِرداس السُّلَمي، عبد الرحمن بن يربوع، علقمة بن عُلاثة، عُمَيْر بن وهب، عمر بن مرداس، عمر بن مالك أبو السنابل، عيينة بن حِصْن، قيس بن عدي، قيس بن مَخْرمةَ، مالك بن عوف، مَخْرَمةُ بن نوفل،

(١) «السيرة» ٢/ ٤٩٦، وأخرجه أحمد في «مسنده» (١١٥٣٧).

(٢) «تاريخ الطبري» ٣/ ٩٢.

(٣) ما بين معقوفين زيادة من مصادر التخريج.

(٤) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

معاوية بن أبي سفيان، الحارث بن علقمة بن كَلَدَة وأخُوه النَّضْر، هشام بن عمرو، وقيل: زيد الخيل.

قال عمرو بن العاص: كان رسولُ الله ﷺ إذا جلس بين أصحابه يتحدَّثُ يُقْبِلُ بوجهه على أهلِ الرُّتَب يتألَّفُهم بذلك، فكان يقبل بوَجْهِهِ وحديثِهِ عليَّ، حتى قلتُ: ما في أصحابه أحدٌ أحبُّ إليه مني، فسألته يوماً عن شيء ووَدِدْتُ أني لم أكن سألته فقلت: يا رسولَ الله، أَيما أحبُّ إليك أنا أم أبو بكر؟ فقال: «أَبُو بَكرٍ» فقلت: عمر فقال: عمر، وذكر عثمان وعلياً وجماعةً من أصحابه وهو يقول: فلان لمن أَذْكُرُه ولم يذكرني، فعلمت أنه كان يتألَّفُني[١].

وقال أنس: كان الرجل يأتي النبي ﷺ لشيء يعطاه من الدنْيا، فلا يمشي حتى يكون الإسلامُ أَحبَّ إليه من الدنيا وما فيها[٢].

وقال الشعبي: لم يبق في الناس اليوم من المؤلفة قلوبهم أحدٌ، إنّما كانوا على عَهْدِ رسول الله ﷺ فلما وَلِيَ أبو بكر رضوان الله عليه انقطعت الرشا[٣].

وقال الشافعي: المؤلفة قلوبهم صِنْفان: مسلمون مجاهدون في سبيل الله، ومشركون أشراف مُطاعون، فالمشركون لا يُعْطَوْن شيئاً، أما المسلمون فأَرى أن يُعْطَوْا من الخُمْس ما يُتَألَّفُون به سوى سهامهم، لأن النبي ﷺ كان يتألَّفُ أقْواماً في صدر الإسلام[٤].

وقال أبو جعفر محمد بن علي: سهم المؤلفة قلوبهم ثابت لم يتغير.

قال المصنف رحمه الله: وكان أشدَّهم على رسول الله ﷺ عيينةُ بن حِصْن بن حذيفة بن بدر من بني فَزارة، [واسم فزارة][٥] عمرو، فضربه أخ له ففزره، وكنيته أبو مالِكٍ، ويقال لهم: بنو اللَّقيطة لأن جدَّتهُم وُجِدت لَقيطةً فَنُسِبوا إليها، وجدُّه حذيفةُ

(١) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/ ١٥ وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٢٠٥٠).

(٣) ذكره البيهقي ٧/ ٢٠.

(٤) «الأم» ٣/ ٢٠٩.

(٥) ما بين معقوفين زيادة من «الطبقات» ٦/ ١٧٤.

كان سيِّدَ غَطفان وقتلته بنو عبس، وابنه حِصْن كان سيداً قتلته بنو عَقيل، وكان عيينة سَبَب الفِجار الثاني، لأنه أغار على سوق عُكاظ.

وأسلم قبل الفتح وكان منافِقاً، وارتدَّ وقاتل المسلمين مع طُليحة، ثم عاد إلى الإسلام فقبله أبو بكر رضوان الله عليه وأمَّنه. وعاش إلى زمن عثمان ﷺ ودخل عليه، فقال له: يا عثمان، سِرْ فينا بسيرة عمر، فإنه أعطانا حتى أغنانا، فقال: والله ما كنتَ راضياً بسيرة عمر، ثم قال له: هل لك إلى العشاء؟ فقال: إني صائم، فقال: أتواصل؟ فقال: وما الوصال؟ قال: تَصِلُ يومَك بليلتِك، فقال: لا، صيامُ الليل أهونُ عليّ من صيام النهار. وذهبت عيناهُ في أيام عثمان ﷺ ومات فيها، ولم يضبط تاريخُ وفَاته.

وأما الأقرع بن حابس بن عِقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي، وكان سَيِّدَ قومِه، واسمه فراس، ولقب الأقرع لقرعٍ كان في رأسه، وهو نادى رسول الله ﷺ من وراء الحُجُرات، شهد حُنَيناً والطائف، قيل: وفتحَ مكة، وأسلم قبل الفتح، وشهد مع خالد بن الوليد مشاهده كلها واليمامة، ولم يذكر تاريخ وفاته، وقيل: إنه استعمل على جيش فدخل الجوزجان فأُصيبَ هو والجيش، وروى الحديث.

قال الإمام أحمد رحمه الله: حدَّثنا عفان، حدَّثنا وُهَيب، حدَّثنا موسى بن عُقبة، حدَّثني أبو سلمة ابنُ عبد الرحمن، عن الأقْرعِ بن حابِسٍ أنه نادى: يا رسول الله من وراءِ الحجرات، فقال: يا رسول الله، إن حَمْدي لزَيْنٌ، وإن ذمي لشَيْن، فقال رسول الله ﷺ: «ذاكَ اللهُ عزَّ وجَلَّ»[1].

وأما العباس بنُ مِرْداس بن أبي عامر، أبو الهيثم، وقيل: أبو الفضل السُّلَمي، وكان [العباس بن][2] مِرداس ممّنْ حرَّم شربَ الخمر في الجاهلية وقيل: هو أول من حرَّمها.

وقال الزبير بن بكار: كان العباس فارِساً شاعراً، وأسلم قبل الفتح، ووافى رسولَ الله ﷺ بقُدَيْدٍ في ألف فارسٍ من قومه. وقيل: في تسع مئة عليهم الدروع والسلاح التام، وبأيديهم القنا. وهو من الطبقة الثالثة من المهاجرين، ولم ينزل مكة

(١) مسند أحمد (١٥٩٩١).

(٢) ما بين معقوفين زيادة من «الإصابة» ٢/ ٢٧٢.

ولا المدينة بل البادية، وكان يغزو مع النبي ﷺ ثم يرجع إلى بلاد قومه، وكانت له بدمشق [دار] وبقيَّةٌ[١].

وقال أبو الفرج الأصبهاني[٢]: كان العباس فارساً شاعراً، شديد العارضة والبيان، سيداً في قومه من كِلا طرفيه، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وأمه الخنساء بنت عمرو بن الشريد.

ذكرُ رجوع رسول الله ﷺ من الجِعِرانة إلى المدينة

وأقام بالجِعِرانة ثلاث عشرة ليلة، وخرج منها ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعْدة ليلاً، فأحرم من مُصَلّاهُ، فلم يزل حتى دخل مكة واستلم الركن، ويقال: إنه لما نظر إلى البيت قطع التلبية وأناخ راحلته عند باب بني شيبة، ودخل وطاف ثلاثة أشواط يرمل فيها وتمم طوافه، ثم خرج فسعى بين الصفا والمروة على راحلته، وحَلَق رأسه عند المروة أبو هند عَبْدُ بني بياضة، وقيل: حلقه خِراش بن أمية، ولم يَسُقْ رسول الله ﷺ هَدْياً، ثم خرج من مكة فسلك على الجِعِرانة، ثم على سَرِف حتى انتهى على مَرِّ الظهران. واستعمل على مكة عتَّاب بنَ أَسِيد وقال له: «استعملتك على أهل الله» وخلَّفَ معاذ بن جبل وأَبا موسى الأشعري يُعَلِّمانِ الناسَ القرآنَ والفِقْهَ، وأقام الحج في هذه السنة عتاب بن أسيد، وحج ناس من المسلمين والمشركين على مُدَّتِهم[٣].

وقدم رسولُ الله ﷺ المدينة يومَ الجمعةِ لثلاثٍ بَقِيْنَ من ذي القعدة.

وفيها: تزوجَ رسولُ الله ﷺ الكلابيةَ، واسمها: فاطمة بنت الضحاك، وقيل: عَمْرَةُ بنت يزيد بن عُبَيْد بن كِلاب، وقيل: العالية بنت ظبيان، وقيل: هي التي استعاذت منه فقال لها: «الحقي بأهلك»، فكانت تقول: أنا الشقيةُ. وقيل: إنها من بني بكر بن

(١) هكذا جاء في نسخنا، وجاء في «الطبقات» ٥/ ١٦٢: ولم يسكن العباس بن مرداس مكة ولا المدينة، وكان يغزو مع النبي ﷺ ويرجع إلى بلاد قومه، وكان ينزل بوادي البصرة وكان يأتي البصرة كثيراً، وبقية ولده ببادية البصرة وقد نزل قوم منهم البصرة. وما بين معقوفين زيادة من «تاريخ دمشق» ٢٦/ ٤٠٣.

(٢) «الأغاني» ١٤/ ٢٩٤.

(٣) «المغازي» ٣/ ٩٥٩ ـ ٩٦٠.

كلاب، ولما وصفها أبوها لرسولِ الله ﷺ قال: وأزيدك أنَّها لم تمرض قط، فقال رسول الله ﷺ: «ما لهذه عند الله من خير» فطلَّقها.

وقيل: إنه دخل بها، ولما خَيَّر نساءه اختارت قومها ففارقها.

وقيل: وجد بكَشْحِها بياضاً ففارقها، وتوفيت سنة ستين في قومِها[١].

وفيها: وَفَدَ على رسولِ الله ﷺ امرؤ القيس بن عابس بن المنذر بن امرىء القَيْس بن عمرو بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن كِنْدةَ، وهو ثور بن عقيل بن سبأ بن يَشجُب بن يعرُب بن قحطان الكندي، فأسلم ورجع إلى بلاده، ولما توفي رسولُ الله ﷺ ثبتَ على إسلامه ومنع قومه من الردة لما ارتَدَّ بعضهم مع الأشعث بن قيس، وهو من الطبقة الرابعة ممن وفد وشهد اليرموك، ونزل بَيْسان من أرض الشام.

وفيها: طلَّق رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة، فجعلت يومها لعائشة رضي الله عنها فردَّها، وقيل: إنّه عَزَم على طلاقها فتركها.

وفيها: غلا السعر بالمدينة فقالوا: يا رسولَ الله سعِّر لنا، فقال: «إنَّ اللهَ هو الخَالِقُ البَاسِطُ الرزَّاقُ المُسَعِّرُ، وإنِّي لأَرجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ ولا أَحَدٌ يُطالِبُني بمَظْلِمةٍ ظَلمتُه إيَّاها»[٢].

وفيها: قَدِمَ عُرْوَةُ بن مسعود الثقفي من الطائف على رسول الله ﷺ.

وفيها: وُلِدَ إبراهيمُ عليه السلام ابن رسول الله ﷺ من مارية، في ذي الحجة، وكانت قابلته سلمى مولاة رسول الله ﷺ، فخرجت إلى زوجها أبي رافع فأخبرته، فأَخْبَرَ رسولَ الله ﷺ فوهب له عبداً، وعقَّ عن إبراهيم شاةً يوم سابعِهِ، وحلق رأسه وتصدق بوزنه فضةً على المساكين، ودفن شعره في الأرض، وشقَّ مولدُه على نساءِ رسول الله ﷺ ولا مثلَ عائشة رضوان الله عليها[٣].

وتنافس فيه نساءُ الأَنْصار، أَيهنَّ ترضعه، فدفعه رسولُ الله ﷺ إلى أُمِّ بُرْدَة بنت المنذر بن زيد وزوجها البراء بن أوس أَنْصاري، وكان رسولُ الله ﷺ يقيل عندها، وكان لرسول الله ﷺ ثُلَّةُ غنَمٍ يروح عليها، ولبنُ لِقَاحٍ، فقال لعائشة: «انظُرِي إلى

(١) «الطبقات» ١٠/ ١٣٦ ـ ١٣٧.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٤٠٥٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) انظر «الطبقات» ١/ ١١٢.

شَبَهي» فقالت: ما أرى شبهه، فقال: «ألا تَرَيْ إلى بَيَاضِه ولَحمِهِ»[١].

وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: «ولد لي البارحة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم، فجاءني جبريل فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم». قال أنس: ودفعه إلى أم سيف، امرأة قَيْنٍ بالمدينة، فجاء يوماً وقد امتلأ البيت دُخاناً، فقلت لأبي سيف: أمسك فقد جاء رسول الله ﷺ فأمسك، ودعا رسولُ الله ﷺ بالصبي فضمَّه إليه، وقال ما شاء اللهُ أن يقول[٢].

وفيها توفيت

زينبُ بنتُ رسولِ الله ﷺ

وأمها خديجة رضي الله عنها، وكانت أكبرَ بناته، وزوجُها: أبو العاص بن الربيع في الجاهلية ثم أسلم، وكانت زينب عليها السلام أسلمت قبله بست سنين، فردَّها رسول الله ﷺ بالنكاح الأول، لم يحدث شهادة ولا صَداقاً. ورُويَ أنه ردَّها بنكاحٍ جديد وولدت له علياً وأمامة، فأما علي فتوفي وقد ناهز الحُلُمَ، ودخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وهو رديفُه على ناقته وقيل: إنه عاش بعد رسول الله ﷺ، وهو وهم.

وأما أمامةُ فهي التي كان رسول الله ﷺ يحملها في الصلاة على عاتقه فإذا ركع وضعها وإذا قام حملها[٣].

وأهدى النجاشي إلى النبي ﷺ حِلْيةً فيها خاتمٌ من ذهب، فبعث به إلى أمامة، وقال: «تحلَّيْ بهذا يا بُنيَّة»[٤].

ولما توفيت فاطمةُ عليها السلام تزوَّج علي رضوان الله عليه أمامةَ، زوجه إياها الزبير بن العوام رضي الله عنه وكان أبو العاص أوصى إليه، ولما احْتُضِرَ علي عليه السلام قال لها: لا آمن أن يَخْطُبَكِ هذا الطاغيةُ بعد موتي ـ يعني معاوية ـ فإن كان لك في الرجال حاجةٌ فقد رضيت لك المغيرة بن نَوْفل عشيراً.

---

(١) «الطبقات» ١/ ١١٤.

(٢) «الطبقات» ١/ ١١٣.

(٣) أخرج البخاري (٥١٦)، ومسلم (٥٤٣) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب، فإذا ركع وسجد وضعها، وإذا قام حملها.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٤٨٨٠).

فلما انقضت عِدَّتُها كتب معاوية إلى مروان بن الحكم يأمره أن يخطبها عليه وبذلَ لها مئة ألف دينار، فأرسلت إلى المغيرة وأخبرته وقالت: هذا خطبني، فإن كانت لك بي حاجة فأَقْبِل، فجاء إلى الحسن عليه السلام فخطبها إليه فزوَّجه إياها[١].

وقال ابن سعد: لما قُتِلَ عليٌّ رضوان الله عليه خطبها معاوية، فقال لها المغيرة بن نوفل: أتتزوجين بابن آكلة الأكباد، فلو جعلت أمرك إلي، قالت: نعم، فقال: قد تزوجتُكِ، قال ابن أبي ذئب: فجازَ نِكاحُهُ[٢].

وقال شيخنا موفق الدين رحمه الله: أهدي إلى رسول الله ﷺ قلادة من جَزْعٍ فقال: «لأَدْفَعَنَّها إلى أَحَبِّ أَهلِي إليَّ» فقال النساء: ذهبت بها ابنة أبي قحافة، فدعا رسول الله ﷺ أمامة بنت زينب فعلَّقها في عنقها[٣].

وقال الواقدي: كانت أم أيمن وسودة بنت زمعة وأم سلمة فيمن غَسَّل زينب عليها السلام، وقال لهنَّ رسول الله ﷺ: «اغْسِلْنَها وِتْراً: ثلاثاً أو خَمساً أو سَبعاً، واجعَلْنَ في الماءِ سِدْراً وفي الأخيرةِ كافوراً، وابْدَأْنَ بميَامِنِها ومواضعِ الوُضوءِ منها». قالت أم عطية: فجعلنا رأسها ثلاثة قرون: ناصيتها وقرنيها، وألقَيناه خلفها، ثم دفع إلينا رسول الله ﷺ إزاره وقال: «أَشْعِرْنَها إيّاهُ» ففعلنا، ثم أدنَيْناها منه فصلى عليها ونزل في قبرها[٤].

وقال أنَس: شهدنا ابنة رسولِ الله ﷺ وهو جالس على القَبْرِ وعيناه تدمعان فقال: «هَل فيكُم رجلٌ لم يقارِف الليلةَ»؟ فقال أبو طلحة: نعم أنا، قال: «انزل» فنزل في قبرها[٥]، سلامُ الله ورحمته ورضوانه عليها.

عروة بن مسعود

ابن معتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف، وهو قسي بن منبِّه

(١) انظر «الإصابة» ٤/ ٢٣٧ .

(٢) «الطبقات» ١٠/ ٤٠ .

(٣) التبيين ٢٢٥ .

(٤) انظر «الطبقات» ١٠/ ٣٥ ، وأخرجه البخاري (١٢٥٣)، ومسلم (٩٣٩) من حديث أم عطية رضي الله عنها .

(٥) أخرجه البخاري (١٢٨٥) .

ابن بكر بن هوازن بن منصور، أَبو يَعْفور الثقفي، وأُمه سُبيعةُ بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قُصيّ.

قذف الله في قلبه الإسلام فقدِم المدينةَ على رسول الله ﷺ فأسلم في ربيع الآخر فسُرَّ رسول الله ﷺ والمسلمون بإسلامه، ونزل على أبي بكر رضوان الله عليه وقال: يا رسولَ الله، ائذنْ لي أن أذهبَ إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام، فأقدُمُ عليهم بِخَيْرِ ما وفد وافِدٌ على قومِه، فقال له رسول الله ﷺ: «إنهم إذاً قَاتِلُوكَ» فقال: يا رسولَ الله، لأنا أَحبُّ إليهم من أَبكارِ أولادهم، ثم استأذنه ثانياً، فقال له مِثْلَ قوله الأول، وقال له: يا رسولَ الله، لو وجدوني نائماً ما أَيقظوني، ثم استأذنه ثالثاً فقال له: «إن شِئتَ فاخرُجْ».

فسار إلى الطائف فقدمه عَشِيّاً ودخل منزلَه ليلاً، فأنكر قومُه دخولَه منزِلَه، فحيَّوْه بتحيَّةِ الشرك فقال: عليكم بتحية أهل الجنةِ، ثم دعاهم إلى الإسلامِ فاتهموه وقالوا: واللاتِ والعُزّى لقد وقع في نفوسنا حيث لم تحلقْ رأسَكَ أنك قد صبأتَ، ونالوا منه فحلُم عنهم، وخرجوا من عنده يأتمرون كيف يصنعون به، حتى إذا طلع الفجرُ أَوفى على غُرْفَةٍ له فأذَّن بالصلاة، فرماه رجلٌ من رهطه من الأحلافِ يقال له: وهب بن جابر بسَهْمٍ، وقيل: إنّ الذي رماه أَوسُ بن عوفٍ من بني مالكٍ وهو أَثبت، وكان عروةُ من الأحلافِ فأصابَ أكحله فلم يرقأ دمُه، وحَشَد قومُه ولبسوا السلاحَ، وفعل الآخرون كذلك، فلمّا رأى عروةُ ذلك قال: لا تقتلوا بي، فإني قد تصدَّقْتُ بدمي على قاتلي لأُصلحَ بينكم، فهي كرامةٌ أكرمني الله بها، وهي الشهادةُ ساقها الله إليَّ، ثم قال: أشهدُ أن محمداً رسولُ الله، أخبرني أنكم تقتلوني، ثم قال لرهطِهِ: ادفنوني مع الشُّهداء الذين قُتِلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحلَ عنكم، فدفنوه معهم، وبلغَ رسولَ الله ﷺ قتلُه فقال: «مَثلُ عروة مثل صاحب ياسين دعا قومه إلى الصلاة فقتلوه»[1].

(١) «المغازي» ٣/ ٩٦٠ ـ ٩٦١ ، و«الطبقات» ٨/ ٦٤ ـ ٦٥ .